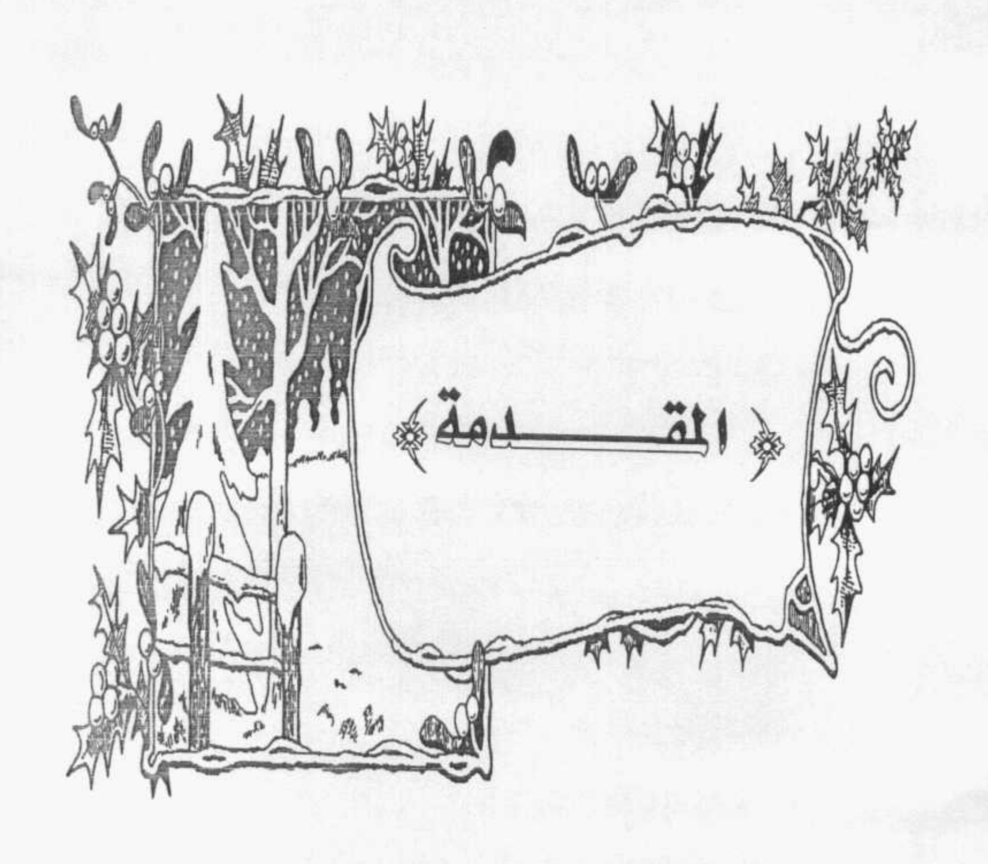

الحِسُّ القَصَصِىّ
فى
أشعَار الهُذَلِيِّينَ
الدكتـور
عبد الناصر محمد السعيد
الطبعة الأولى ١٩٩٨


المقدمة

﴿تقديم﴾

ظل هذا العنوان (**الحس القصصى فى أشعار الهذليين**) يطاردنى لسنوات عديدة ، وأصرف الذهن عنه ، ويلحّ فى المطاردة كلما قرأت شعراً للهذليين ، يرثى فيه الشاعر ، أو يبكى أو يتغزل فى محبوبته ، أو يشكو الهجر ويبث الشوق ، أو يبكى غائبا ، ومع ذلك ، ومع خصوصية هذه الموضوعات ، يعرّج الشاعر على قصة من القصص لحمار أو ثور أو إنسان ، أو ما شابه ذلك ، يعطى له سمات معينة من العزة والمنعة أو التخبط والضياع ، يقاوم عدواً له سمات معينة أيضاً ، وتطول هذه المقاومة لتنتهى الحياة كما يريدها الشاعر ، أو كما يريدها الموضوع الذى يتناوله .

ومن هنا أقبلت على الموضوع بعد أن تراكمت عندى عدة ظواهر تستحق الدراسة ، وكنت أحسب أن القصة الشعرية غير موجودة ، أو أننى سألقى كثيراً من العنت والمشقة حتى أرسم صورة للقصة الشعرية عند الهذليين .

فوجود القصة عموما فى أدبنا العربى الجاهلى والإسلامى

لاتحظى بالتأييد والموافقة ، أو تحظى بذلك مع قليل من الحماس وكثير من الفتور ، ولكنى وجدت جُلّ الكتاب الذين كتبوا عن الشعراء الصعاليك قد تحدثوا عن هذه الظاهرة وخصوا صعاليك هذيل ، بل شعراء هذيل عامة ، وليس الصعاليك منها فقط .

تعرض لذلك الدكتور / يوسف خليف فى كتابه ' الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى ' تحت عنوان ' القصصية ' مشيراً إلى أن شعر الصعاليك فى مجموعه شعر قصصى يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل مايدور فى حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التى تصلح مادة طيبة للفن القصصى ، ثم أشار إلى أن هذه الظاهرة تتجاوز دائرة الصعلكة إلى شعر هذيل .

وقد تعرض الدكتور عبد الحليم حفنى فى كتابه ' شعر الصعاليك ' منهجه وخصائصه ' مؤكداً على أن اللذين أسسوا القصة فى شعرنا العربى ووصلوا بها إلى مستوى القصة الكاملة إنما هم الصعاليك . وأن الظاهرة ليست خاصة بالصعاليك وإنما تتعداهم إلى غيرهم من شعراء هذيل . ولم يكتف الدكتور / عبد الحليم حفنى برصد هذه الظاهرة فى شعر الهذليين ، ولكنه أشار إلى وجود معالم القصة من وصف وحوار وتحليل نفسى ، وهو أدل على تأصل الاتجاه القصصى فى شعرهم لأن الشاعر فيه

متعمد خلق الموضوع .

وأما وجود العناصر القصصية فى القصة الجاهلية فقد سُبِق هذا البحث بدراسات فى هذا المجال . منها على سبيل المثال : دراسة الدكتور على عبد الحليم محمود . تحت عنوان ' القصة العربية فى العصر الجاهلى ' والتى أكّد فيها على أن ما تعارف عليه النقاد من خصائص تطبع كل قصة بطابعها ، ويتحتم وجودها فى كل عمل قصصى ، موجود فى القصة الجاهلية من حدث وسرد وبناء وشخصية وزمان ومكان وفكرة .

ومنها أيضاً تلك الدراسة التى قامت بها الدكتورة / مىّ يوسف خليف تحت عنوان : العناصر القصصية فى الشعر الجاهلى ، ودراستها الثانية فى هذا المجال تحت عنوان ' بطولة الشاعر الجاهلى وأثرها فى الأداء القصصى .

ومن هنا كانت دراستى لأشعار الهذليين ، محاولاً تَلَمُّس القصة ووجودها فى أشعارهم ، وتجلية العناصر القصصية فيها .

وقد بدأت بما بدأ به ديوان الهذليين ، بدأت بأشعر شعراء هذيل غير مدافع – بدأت بأبى ذؤيب الهذلى . والله الموفق

الدكتور : عبد الناصر محمد السعيد

قصص أبى ذؤيب الهذلى (١)

وأول ما يطالعنا فى الديوان من المراثى تلك المرثية الرائعة التى تعد من عيون الشعر العربى وهى مرثية أبى ذؤيب لأولاده ومطلعها :-

أمن المنون وريبها تتوجع   والدهر ليس بمعتب من يجزع

وبعد أن أفرغ شحنة الحزن التى تعتمل فى داخله ، ووضح

١- هو خويلد بن خالد بن محرث بن زيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ، وأخو بنى مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن مضر بن نزار ، جاهلى إسلامى ، كان رواية لساعدة بن جؤية الهذلى ، وخرج مع عبد الله بن الزبير فى مغزى نحو المغرب فمات . ترجم له صاحب الأغانى فى الجزء السادس ، فنقل رأى ابن سلام فيه فقال : كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لاغميزة فيه ولا وهن . وساق شهادة حسان بن ثابت عندما سئل : من أشعر الناس ؟ قال : حيا أم رجلا ؟ قالوا . حيا . قال : أشعر الناس حيا هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . اختار له أبو زيد القرشى فى كتابه " جمهرة أشعار العرب " قصيدته العينية ، وجعله فى أصحاب المرائى . جمهرة أشعار العرب ، ص ٥٣٤ . وقد جعله محمد بن سلام الجمحى فى كتابه " طبقات فحول الشعراء " مع نابغة بنى جعدة ، والشماخ ولبيد . (طبقات فحول الشعراء ، ص ١٢٢ ، ج ١ .

للشامتين تجلده وتماسكه :-

وتجلــدى للشامتيــن أريهــم أنــى لريـب الدهر لا أتضعضع

بعد ذلك كله لجأ إلى سوق القصة تلو القصة ، للتأسى والتصبر مصدّرا كل قصة بالبداية التقليدية " والدهر لا يبقى على حدثانه " .

القصة الأولى

﴿ جــون الســـراة ﴾

• **النص** : ـ

والدهــرُ لايَبقــىَ علــى حَدَثانِــه — جَوْنُ السَّـراةِ لــه جدائــدُ أربــعُ
صَخبُ الشـواربِ لايـزال كأنّــه — عبــدُ لآلِ أبــى رَبيعــةَ مُسْــبَعُ
أكـل الجميـم وطاوعتـه سَـمْحَجُ — مِثـلُ القنــاةِ وأزعلتــه الأمــرع
بقــرار قيعــان ســقاها وابــل — واهٍ فــأثجمَ برهـــةً لايقلـــعُ
فلبثــن حينــا يعتلجــن برَوْضــةٍ — فيجِدُ حيناً فـى العـلاج ويَشْـمَعُ
حتــى إذا جــزرت ميــاه رزونــه — وبــأى حــين مــلاوة تتقطــع
ذكـر الـورود بهـا وشـاقى أمـره — شــؤم وأقبــل حينــه يتتبــع
فـافتنهن مــن الســواء ومــاؤه — بــثر وعـــانده طريـــق مهيــع
فكأنهـا بـالجزع بـين " ينـابع " — وأولات ذى العرجاء نهب مجمع
وكـــأنهن ربابـــة وكأنـــه — يسر يُفِيض على القِدَاح ويَصْـدَعُ
وكأنمــا هـــو مــدوس متقلــب — فــى الكـف إلا أنــه هــو أَضْلَـعُ
فـــوردن والعيُـــوقُ مَقْعَـــدَ — رابئ الضرباء فوق النظـم لايتتلـع
فشرعن فى حجرات عـذب بـارد — حصب البطاح تغيب فيه الأَكْـرُعُ

فشربن ثم سمعن حسا دونه — شرف الحجاب وريب قرع يقرع
ونميمة من قانص متلبب — في كفه جشء أجش وأقطع
فنكرنه فنفرن وامترست به — سطعاء هادية وهاد جرشع
فرمى فأنفذ من نجود عائط — سهما فخر وريشه متصمع
فبداله أقراب هذا رائغا — عجلا فعيث في الكنانة يرجع
فرمى فألحق صاعديا مطحرا — بالكشح فاشتملت عليه الأضلع
فأبدهن حتوفهن فهارب — بذمائه أو بارك متجعجع
يعثرن في حد الظبات كأنما — كسيت برود"بنى يزيد"الأذرع" (١)

• **رؤية لغوية** : ـ

لا يبقى على حدثان الدهر جون السراة ، الجون : الأسود ، والأنثى جونة ، (لسان العرب مادة جون) وكذلك الجون : الأبيض ، والجون : الأحمر والجمع جون ، والسراة أعلى الظهر ، له جدائد : له أتن ، والجدد جمع جدود ، والجدود : التي خف لبنها.

جون السراة هذا صخب الشوارب ، يحرك شواربه كثيراً بالنهيق والغناء .

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١٠ .

يعيش عيشة هانئة وادعة ، أَكْلُه الجميم [١] أكله كثير متوفر ، وإناثه طوال مثل القناة ، وقد طاوعنه ، وسرن على هواه وأزعلته الأمرع [٢] ، يتنزل على هذه القيعان مطر شديد دام لا يقلع لبرهة حتى ارتوت الأرض .. وسط هذا الخصب والمرعى والمطر مكث البطل مع أتنه يعتلجن [٣] بروضة ، الإناث يتضاربن ويعض بعضهن بعضا ، والذكر يلعب [٤] معهن أحيانا ، ويتصنع الجد أحيانا أخرى .



ودوام الحال من المحال . تأتي اللوحة الثانية في القصيدة ، أو تصاعد الأحداث وتطورها في القصة ، فإذا بالمياه تتناقص (حتى

١- الجميم : النبت الكثير ، قال أبو حنيفة : هو أن ينهض وينتشر ، وقيل إذا ارتفعت البهمى عن البارض قليلا فهو جميم (لسان العرب مادة جمم) .

٢- أزعله : الزعل : النشاط (لسان العرب مادة زعل) والمرع : الكلأ والجمع أمرع .

٣- اعتلجت الوحش : تضاربت وتمارست (لسان العرب مادة علج) .

٤- يشمع : رجل شموع : لعوب ضحوك . ويشمع : يلعب (لسان العرب مادة شمع) .

إذا جزرت مياه رزونه) [١] لقد تناقصت المياه ، وعادت مع تناقصها ذكرى مؤلمة ، ذكرى رحلات سابقة لاقى فيها الأمرين ، وتعرض لمخاطر جمة .

لقد تذكر حاجته وحاجة أتنه إلى الماء ، وسيطر الشؤم على تفكيره ، وراح جمعه إلى تفرق ، وحاله إلى شتات .

راح يسوق أتنه يمينا وشمالا ، وشرقا وغربا . لقد افتتهن من السواء [٢] ، من الأماكن المرتفعة وقد قل ماؤها . واعترضه طريق واسع راح يدور حوله . (وعانده طريق مهيع) [٣] ، ياله من منظر رهيب لهذا الحمار مع أتنه بالجزع بين ينابع وأولات ذى العرجاء [٤] .

لقد تحول القطيع في هذه الأماكن إلى نهب مجمع ، كأنها نهبت من كل جانب وجمعت فى مكان ولا صلة بينها .

والقائد ، وقائد القطيع ، وكأنما هو مدوس متقلب فى الكف إلا

١- الجزر نقيض المد . وجزرت : نقصت . والجزر تضوب الماء (لسان العرب مادة جزر) .

٢- السواء : المرتفع . البثر : الكثير والقليل . وهنا بمعنى القليل .

٣- المهيع : الواسع .

٤- الجزع يُنابع ، وأولات ذى العرجاء : أماكن .

أنه هو أضلع كأنه تلك الخشبة التى يشد عليهـا مسـن ويـداس بهـا ، إلا أنه أخشـن وأغلـظ . هـذه هـى صـورة القطيـع فـى رحلتـه التـى قطعها بحثا عن الماء ، وكأنهن ربابة ، كأن الأتن أقداح ، وقائدها يسر ، وهو ما يضرب به القداح .

صورة التشتت والتخبط والضياع . وأخيراً ، وبعد هذه الرحلة المؤلمة وردن ، وصلن ، فوردن والعيوق مقعد رابئ الضربـاء فوق النظم لايتتلع (١) .

وردن الماء فى آخر الليل ، وعندها ، شرعن فى حجرات عذب بارد حصب البطاح تغيب فيه الأكرع (٢) أسرعن فى لهفة إلى ارتشاف ماء عذب بارد نقى ، فالماء إذا كان على حصباء كان أعذب وأصفى .



١- العيوق : كوكب . فوق النظم : نظم الجوزاء . يتتلع : يتقدم . رابئ الضرباء : الرجل الذى يرصد وينظر من يضربون القداح .

٢- البطاح : بطون الأودية . الأكرع : مستدق الساق العارى من اللحم . الحجرات : النواحى .

وهنا تأتى اللوحة الثالثة لتطور الأحداث ، وتنميها فقد جاء القطيع إلى حتفه ، لقد جاء الصائد إلى الماء قبل ذلك ، وترصد حولها ، لعلمه بضرورة ورود القطيع ، أى قطيع إلى الماء بعد تناقصه . فشربن ، وبعد ما هدأت النفوس من الرحلة وسرى الماء فى حنايا الضلوع ، سمعن حسا يتوارى خلف شئ ، سمعن صوتا تحجبه حجب ، سمعن صوتا تمرسن على سماعه قبل ذلك " ريب قرع يقرع " صوت وتريقرعه الصائد . كم تعرضن لمثل هذا الصائد ، وكم تعرض لهن ، لقد أصبحن يميزن الأصوات ، ويعرفن صوت الوتر ، وصوت الصائد ، بل وصوت النصال المرهفة . ونميمة من قانص متلبب ، فى كفه جشء أجش وأقطع (١) وما يلبسه الصائد وما يتحزم به .

فنكرن هذا الصوت وتلك النميمة ، ونفر القطيع كله ، إلا أن سطعاء هادية وهاد جرشع قد امترست به (٢) اقترب منه هذا الفحل

١- نميمة : أصوات تنم عن وجود صائد . قانص متلبب : صائد متحزم . حيشء : قضيب أجش : له صوت غليظ . وأقطع : جمع قطع وهو نصل عريض قصير .

٢- امترست به : اقتربت منه . سطعاء : طويله العنق . هادية : متقدمة هاد : متقدم . جرشع : منتفخ الجنبين .

وتلك الأتان [١] .

وعندما اقترب هذا الفحل وتلك الأتان ، كانت الفرصة سانحة للصائد فرمى فأنفذ وأصاب نجودا عائطا [٢] .

أصاب ممتلئة باللحم والشحم ، فنفذ السهم من الجنب الآخر وقد تصمع [٣] وقد انضم ريشه من الدماء . ونظر الصائد فلمح الفحل ، لمح الحمار بخوا صره الممتلئة وهو رائغ ، فأسرع إلى كنانته يبحث فيها عن سهم آخر ، سرعان مارمى به فألحق الفحل بالأتان، فألحق السهم بسابقه ، فألحق السهم بكشح هذا الحمار. فرمى فألحق صاعديا مطحرا بالكشح فاشتملت عليه الأضلع [٤]

١- فى شرح الديوان : امترست هوجاء بالفحل : جعلت تكاده وتسير معه [الديوان ، ج١ ، ص ٨] وأرى أن الأوجه أن يعود الضمير على الصائد ونفر بقية القطيع . ولذلك عقب بقوله : فرمى : أى الصائد .

٢- النجود : الأتان الطويل .والعائط : التى اعتاطت رحمها .وربما عاطت الناقة من كثرة شحمها ، وعاطت الناقة : لم تحمل سنين من غير عقر (لسان العرب مادة عيط) .

٣- ريشه متصمع : منضم .

٤- صاعديا :سهما منسوبا إلى بنات صعده (وهى قرية باليمن) على غير قياس.وفى اللسان :الصاعدى نسبة إلى بنات صعده وهى حمر الوحش (لسان العرب مادة صعد) مطحر : السهم بعيد الذهاب .الكشح : الخاصرة .

هكذا سقط القطيـــع [١] واحداً تلو الآخر . فأبدهن حتوفهن ، فهارب بذمائه ، أو بارك متجعجعُ يالها من نهاية دامية لهذا القطيع . لقد ساق الصائد إلى كل واحدة حتفها ومنهن من هربت بالبقية الباقية من حياتها . أومن خر صريعا ملتصقا بالأرض .

وبعد هذا تحول القطيع إلى صريع وهارب وبقية تعثر فى حد الظبات[٢] وتناثرت الدماء هنا وهناك فكأنما كسيت برود بنى يزيد الأذرع[٣] وبرود بني يزيد هذه تضرب إلى الحمرة [٤] وانتهت قصة هذا القطيع بتلك النهاية المفجعة ، بعدما كانوا يعيشون فى دعة وأمن وخصب ونماء .

• **جون السراة (رؤية فنية)**

تنطوى هذه القصة على ظواهر فنية كثيرة أولها :-

ارتباط القصة بموضوع القصيدة :

قد يظن للوهلة لأولى أن الشاعر يحكى قصصا لحيوان ما ،

١- الذماء : بقية النفس . المتجعجع : الساقط على الأرض.

٢- الظبات : جمع مفردة ظبة وهى طرف النصل .

٣- الأذرع : العصائب .

٤- الديوان ، ج ١ ، ص ١٠ .

وأن قصص الهذليين ماهى إلا تكرار لوصف ذلك الحيوان ،وقد يختلف الحيوان فى القصة من حمار وحشى إلى وعل إلى بقر وما شابه ذلك . ولكن النتيجة واحدة وهى موت هذا الحيوان .

قد يظن ذلك للنظرة المتسرعة . ولكن الباحث المدقق يجد عالما من المتغيرات فى كل قصة عن غيرها من القصص . وأن القصة مرتبطة تماما بموضوعها ، ومختلفة تماما عن غيرها من القصص ، اختلاف الموضوع عن غيره من الموضوعات . والقصة التى معنا تحكى موضوع القصيدة ، فالشاعر يبكى أولاده الذين تخرموا ، كما يقول شارح الديوان (وقد هلك له خمسة بنين فى عام واحد أصابهم الطاعون) [١] وفى رواية وكان له سبعة بنين شربوا من لبن شربت منه حية فهلكوا فى يوم واحد .

ومن هنا نرى تطابق القصة مع موضوع القصيدة نرى تعدد الحمير الوحشى فى القصة ، بل إن الشاعر عينهم ، فحمار الوحشى له جدائد أربع والرواية تقول إن ابناء أبى ذؤيب كانوا خمسة : -

والدهر لايبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١ ، والأغانى ، ج ٦ ، ص٢٦٥ .

كأن العدد لم يأت لأن القافية عينية ، أبدا فعنده كلمات كثيرة للقافية ولكنه شغل بأولاده وهو يحكى القصة،

وفى ناحية أخرى نرى تعدد الذين ماتوا فى نهاية القصة :-

فنكرنه فنفرت وامترست به سطعاء هادية وهاد جرشع
فبداله أقراب هذا رائغا عجلا فعيث فى الكنانة يرجع
فأبدهن حتوفهن فهارب بذمائه أو بارك متجعجع

ومن ناحية ثالثة نرى أن هذا الجمع قد لاقى حتفه بعد شربه مباشرة .

ومن هنا نرى موافقة القصة للرواية التى تقول : (شربوا من لبن شربت منه حية ثم ماتت فهلكوا) [1] .

فشربن ثم سمعن حسا دونه شرف الحجاب وريب قرع يقرع

وكذلك نرى النهاية تأتى دون مقاومة فى القصة ، كما كانت نهاية أبناء أبى ذؤيب .

فنكرنه فنفرن وامترست به سطعاء هادية وهاد جرشع
فرمى فأنفذ من نجود عائط سهما فخر وريشه متصمع

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١٠ .

فبداله أقراب هذا رائغا عجلا فعيث فى الكنانة يرجع
فرمى فألحق صاعديا مطحرا بالكشح فاشتملت عليه الأضلع
فأبدهن حتوفهن فهارب بذمائه أو بارك متجعجع
يقترن فى حد الظبات كأنما كسيت برودبنى يزيد الأذرع[٢]

هكذا نرى النهاية تأتى دون مقاومة ، امترست به سطعاء ، فرمى فأنفذ من نجود وعائط ، فرمى فألحق صاعديا مطحرا بالكشح ، فأبدهن حتوفهن ، والنهاية هنا متساوية مع نهاية الأبناء بالسم أو بالطاعون دون مقاومة .

• مقدمة القصيدة (مفتاح القصة)

حطيت مقدمة القصيدة فى أدبنا العربى بنصيب كبير من الرعاية من الباحثين والنقاد فى القديم والحديث ، لدرجة أن خصها باحث بكتابين جعلهما عنواناً لهما (مقدمة القصيدة العربية) [١] .

ووجود المقدمة الطللية ، أو الغزلية أو خلو القصيدة منهما وتحولها إلى الحديث عن الخمر ومدى ملائمة هذه القدمة للموضوع، كل هذه القضايا لفتت أنظار الباحثين وتحدثوا عنها

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١٠.
٢- مقدمة القصيدة العربية ، د / حسين عطوان .

بالتفصيل .

وأود أن أنبه منذ البداية إلى أن المقدمة التىسنتحدث عنها هنا هى ما سبق القصة فى القصيدة من أبيات .

فالشاعر يبدأ بعدة أبيات تطول أو تقصر حسب الشحنة التى دفعته إلى إبداع القصيدة قوة أو ضعفاً ، وبعدها يبدأ فى عرض القصة ولذلك فالقصيدة هى القصة ، وما سبقها من أبيات نستطيع أن نسميه مقدمة ، أو تمهيداً للقصة ، أو مفتاحاً لها .

والشاعر أبو ذؤيب هنا يبدأ قصته بمقدمة لاهى طللية ولا غزلية ولكنها مقدمة باكية :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

وهكذا يدير الشاعر حواراً على لسان تلك الجارة [1] الملاصقة لأبى ذؤيب والتى تحس به ، وتلمح أساه وشحوبه .

ومن هنا فهو ينقل لنا أحاسيسه من خلال هذا الحوار الذى يدور بينه وبين أميمة ، ثم ، وبعد أن فرغ من بكاء أولاده ، وبعدما

١- لفظ الجارة الذى اخترته هنا يعنى امرأة قريبة له ، وملاصقة له نفسياً سواء كانت ابنته أو حبيبته أو نفسه التى بين جنبيه .

ســـلا [1] وبعد ما أعطىمفتاح قصته ، أو مهد لقصته ، بدأ بالبداية المعتادة (والدهر لا يبقى على حدثانه) والقصة تتوافق تماماً مع التقديم .

وقد ساق الشاعر مقدمة فى ثمانية عشر بيتاً ، ثم ساق قصصه فى خمسين بيتاً بعد ذلك ، فهل نقول إن الشاعر بكى أولاده بهذا العدد القليل من الأبيات ثم ساق خمسين بيتاً لاهية عابثة ، أم أن الصحيح أن نقول إنه قدم لقصته بهذه الأبيات ، كأنه يقول سأحكى لكم قصة موت أولادى وقصة فقدهم ، وسأحكى لكم حالى بعدهم ، وسأسوق قصة بعد ذلك تصور حال بقية الناس ؟

وأقول ربما تتبلور هذه المقولة بعد دراسة مقدمة القصيدة عند الشعراء الآخرين .

١- ورد فى كتاب الأغانى ما يشير إلى أن الشاعر قد سلا بعد هذه الأبيات وذلك فى قصة طويلة موجزها : لما مات جعفر ، ابن المنصور الأكبر مشى المنصور فى جنازته ، ثم انصرف إلى قصره ونادى علىالربيع أن ينظر من ينشده " أمن المنون " وحضر من أنشده حتى وصل إلى قوله : والدهر لا يبقى على حدثانه ، قال : سلا أبو ذؤيب ، الأغانى ، ج ٦ ، ص ٢٧٤ وإن كنا نرفض ذلك لأننا سنثبت أن المقدمة ما هى إلا مفتاح القصة .

• الدقة في تحديد البيئة :-

من عناصر القصة فى عصرنا الحديث ما يسمى بالبيئة الزمانية والمكانية والجو العام المحيط بها [1] أو خلق جو القصة[2]، وهذا المسميات لهذا العنصر هو ما يمكن أن نطلق عليه هنا : التحديد الدقيق لبيئة القصة .

وقد يحسب القارئ لقصة من قصص الهذليين ان الشاعر عندما يصف الصحراء أو الأشجار أو الجبال أو الماء ، أو يحدد زماناً ما ، قد يحسب أنه يصف شيئاً صادفه ، أو أعجبته البيئة فتحدث عنها ، وهذا الوصف لا علاقة له بالقصة .

قد يحسب القارئ أو الباحث هذا للوهلة الأولى ، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أن الشاعر يرسم بيئة للقصة خاصة بها ومناسبة لها يرسم جواً عاماً يخدم القصة ويتمشى مع موضوعها ، فهو وإن وصف المكان بالجدب فى قصة فلأمر ما تحتاجه القصة ، وقد يصف المكان بالخصب فى موقف آخر ، ويصف العشب تارة بالطول وآخرى بالقصر ، وكذلك يفعل الشاعر فى الأشجار

١- القصة والرواية ، د / عزيزة مريدن ، ص ٣٠ ، دار الفكر ، دمشق .

٢- القصة من خلال تجاربى الذاتية ، السحار ، ص ٥٨ ، مكتبة مصر .

والأنهار والجبال والطرق ، إنها ليست بلوحات صامتة جامدة خرساء رآها الشاعر فوصفها وشغل بها قصته ، ولكنه استطاع أن يوظف البيئة لخدمة القصة .

- **الجو العام في هذه القصة :**

أراد الشاعر أن يرسم جواً سعيداً لهذا القطيع نلمحه منذ البداية، فصور الحمار بأنه " صخب الشوارب " فهو يرفع عقيرته بالغناء ، وأتنه قد طاوعته .

أكل الجميم وطاوعته سمج مثل القناة وأزالته الآمر (١)

وقد أكل الجميم – العشب عندما يعلو – وطاوعته سمج مثل القناة – طاوعته أتان فارعة قوية وأزالته الآمر ، أنشطتة المرعى وجعلته فى نشاط وقوة ، والأتن حوله يعتلجن بروضة فيجد حينا فى العلاج ويشمع ، الأتن تعض بعضها بعضاً فى لهو ، وهو يلعب أحياناً ، ويصطنع الجد أحياناً ومن هنا نلمح الجو العام الباسم السعيد لهذه القصة .

١- الديوان ، ج ١ ، ص ٤ .

• البيئة المكانية :-

يصور الشاعر فى هذه القصة البيئة المكانية التى جرت أحداث القصة فيها وهى لا تصادم الجو العام ولا تخالفه ، وإنما تتمشى مع روح القصة .

فالمكان :-

بقـرار قيعـان سقاها وابل واه فأثجـم برهـة لا يقلـع

فالأرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية حرة لا حزونة فيها ولا ارتفاع كما يقول المعجم فى تفسير كلمة " قيعان " [1] والطعام الذى يأكله هو " الجميم " وهو النبت الكثير ، وهو الذى ينهض وينتشر ، فالشاعر أو القصاص لا يصف هنا أرضا ولا نبتاً صادفه أو عاش بجواره، ولكنه يصف أرضاً معينة وطعاماً معيناً ليخدم أو يرسم الجو العام لقصته .

وعندما أراد الشاعر نفسه أن يصور ، وأن يرسم جواً آخر للقصة وهو جو التشاؤم تغيرت البيئة المكانية :

فافتنهـن مـن السواء وماؤه بثـر وعانـده طريـق مهيـع

١- لسان العرب مادة قوع .

السواء : المرتفعات ، ماؤه بثر : عطاء بثر ، كثير وقليل [١] ، وتكون هنا بمعنى القليل [٢] ، وعانده طريق مهيع .

- **الشخصيات :**

وصف الشخصيات مهم فى القصة ، " وعلى قدر مافى شخوص القصة من نبض وحياة تكون قيمة العمل الفنى . ولو كانت القصة تقاس بحبكتها وموضوعها لكانت الحوادث التى تسردها الصحف كل يوم متقنة فى عرضها من القصص الفنى ، ولكنها بعيدة عن ذلك ، لأن عنصر الحياة ينقصها . والقاص الناجح هو الذى يخلق لنا أناسا خالدين لاننساهم بل تظل شخوصهم حية فى أذهاننا " [٣] .

والقصة التى بين أيدينا تحمل شخوصا معينة منها شخصية الحمار الوحشى وشخصية الأتن التى تتبعه ، وشخصية الصائد

١- لسان العرب مادة بثر .

٢- فهم الجو العام للقصة يساعدنا فى تحديد الألفاظ المشتركة ، فمثلا هنا كلمة بثر " للماء القليل والكثير ، وقد فسرها الشارح للديوان بالكثير ، ج ١ ، ص٦ وهو مما يصادم الجو العام والسياق ، والجو العام يقتضى أن نفسرها بالقليل .

٣- القصة من خلال تجاربى الذاتية ، ص ٨١ .

وننظر إلى هذه الشخصيات من خلال أبعادها الثلاثة :

١ - **البعد الجسمي** : فيرسم أوصاف الشخصية من الخارج طولا أو قصرا ، بدانة أو نحافة . كما يصف لون البشرة وملامح الوجه وما إلى ذلك من خصائص خلقية مميزة .

٢ - **البعد الاجتماعي** : فيصورها من حيث ثقافتها وعقيدتها وهواياتها وبئيتها والمجتمع الخارجي المحيط بها .

٣ - **البعد النفسي** : الذى قد يكون حصيلة البعدين السالفين. ويعنى الكاتب فيه بتصوير عواطف الشخصية وطباعها وطريقة تفكيرها وتصرفاتها وردود فعلها تجاه المواقف المتعددة[1].

وانطلاقا من هذه التعريفات للشخصية ، نرى أن الشاعر قد تحدث عن شخصية الحمار الوحشى فحدد معالمه منذ البداية ، متناولا البعد الجسمى . فهو جون السراة . فهو أسود أعالى الظهر وأبيضها .

والأتن : جدائد أربع ، والجَدُودُ التى لا لبن لها ، فإن ذلك يكون أسمن لها وأقوى ، وهى سمحج مثل القناة . أى طويلة

١- القصة والرواية د/ عزيزة مريدن ، ص ٢٩ .

الظهر .

والصائد : شخصية الصائد هنا مهمة ، لأن موت المرثى ، وطريقة موته ، مرتبطة تماما بوصف الصائد ، والصائد فى هذه القصة قانص متلبب . فالصائد أو القانص قد تحزّم ، وأخذ وضع الاستعداد ، وأمسك بكفه قوسا ونصالا .

ونرى البعد النفسى هنا فى شخصية الحمار الوحشى ، وهو يغنّى من ناحية ويجدّ ويلعب من ناحية أخرى ، فإذا نقصت المياه ذكر الورود وشاقى أمره شؤم .

هذه الأوصاف التى ذكرنا للشخصيات ربما بدت قليلة من ناحية ، وربما لاتقيم معلما واضحا محدداً للشخصية من ناحية أخرى ، فوصف الحمار الوحشى بأنه أبيض الظهر أو وصف الأتان بأنها طويلة لايشكل معلما واضحاً متفرداً للشخصية . ولكننا يجب أن نسلّم بأن القصة الشعرية لها سماتها ، وأننا نتعسف عندما نطبق عليها عناصر القصة النثرية بحذافيرها .

(وقد تكون الشخصية القصصية نمطية ، تحمل خصائص الشخصية الإنسانية بعامة ، ومثل هذه القصة يمكن أن تقبل فى القصة الشعرية أكثر مما تقبل فى القصة النثرية ... لأن القصة فى

الشعر تعنى بالتكثيف والرمز) [١] .

ومع تسليمنا بأن تلك الأوصاف للشخصية فيها بعض النمطية إلا أنه بالمقارنة بالقصص التالي يتضح الفوارق الدقيقة بين حيوان وآخر وصائد وآخر بما يخدم موضوع القصة .

• **الأحداث :**

تشكل الأحداث موضوع القصة ، والعنصر الرئيسي فيها ، يعتمد عليه في تنمية المواقف وتحريك الشخصيات [٢] وشرط الجاذبية في تسلسل الأحداث أن تتدرج في أجزاء موضوع القصة فتبدأ ضعيفة ، ثم تنمو مع نمو العمل وتعقد الحدث [٣] .

والأحداث في قصتنا هذه فيها تسلسل ، وفيها نمو ، وفيها تعقد وتشابك وبداية ونهاية . فالقصة تبدأ بوصف هذه المجموعة السعيدة لهذا القطيع من حمير الوحش ، ثم تنطلق الأحداث في تصاعد وتشابك لتغير من هذا الواقع السعيد ، ولتغير أيضا من سلوكيات قائد القطيع صخب الشوارب ، الذي كان يملأ الدنيا صياحا ، ويجد

١- أصول الأنواع الأدبية ، د/ محمد أحمد العزب ، ص ٢٧٨ .

٢- القصة والرواية ، د / عزيزة مريدن ، ص ٢٦ .

٣- في أصول الأدب : أحمد حسن الزيات ، ص ٣٤٥ .

ويشمع ، وقد أزعلته الأمرع فإذا به بعد أن نقصت المياه ، وضاقت السبل مدوس متقلب ، شاقى أمره شؤم ، وعانده طريق مهيع وراحت الأحداث تحرك الشخوص وتدفعها بحثاً عن الماء ، ثم تتحرك الأحداث وسط هذا التأزم لتصطدم بالواقع المحتوم متمثلاً فى نهاية هذا القطيع بسماع صوت الصائد ، ووقوع القطيع مابين قتيل وجريح .

• **الصيـــاغة** :

ويمكن أن نسميها طريقة عرض الحوادث كما أشار إلى ذلك السحرتى [١] مشيراً إلى أنه بالإمكان عرض الحوادث عن طريق الترجمة الذاتية ، أو طريقة السرد المباشر أو طريقة الرسائل المتبادلة ، أو المونولوج الداخلى أوتيار الوعى . وقد أشار إلى ذلك فى عجالة سريعة الدكتور محمد العزب عندما قال : (كذلك يبدو أنهما معاً [٢] يستطيعان صياغة هذه الحبكة فى أى شكل شاءا : سردا أو ذكريات أو رسائل [٣] مشيراً إلى أن الذكريات أو الوعى أقرب إلى طبيعة الشعر منها إلى طبيعة النثر .

١- القصة من خلال تجاربى الذاتية ، ص ٣٦

٢- يقصد القص النثرى والقص الشعرى .

٣- أصول الأنواع الأدبية د / محمد العزب ، ص ٢٨٠.

وإذا كان الدكتور محمد يوسف نجم في كتابه " فن القصة " يعد طريقة المونولوج من أحدث التطورات في فن القصة . فإن الشاعر أبا ذؤيب قد استخدم هذه الطريقة ، مع مراعاة التكثيف الشديد في لغة القصة .

وقد تمثل ذلك في قول أبي ذؤيب بعد مانقصت المياه :

ذكر الورود بها وشاقى أمره – شؤم وأقبل حينه يتتلع في قوله ذكر الورود تكثيف مركّز للرحلات الماضية واسترجاعها إلى الذاكرة وحكايتها ، وما كان يحدث فيها من مخاطر وأهوال .

هذه الرحلات السابقة جعلت الشؤم يسيطر عليه ، بعدما تبدت له المخاطر السابقة .

وقد اعتمد أبو ذؤيب على التصوير في كثير من مواقف القصة . فهو يصور حال الأتن بعد نقص المياه وفزعها وهلعها وتخبطها في الطرقات بقوله :

فكأنها بالجزع بين " ينابع " وأولات ذي العرجاء نهب مجمع كأنها بين هذه الأماكن حمير نهبت من أماكن متفرقة وجمعت في مكان فلا ألفة بينها ، وإنما الخوف والفزع والتخبط . ويصور حال قائد القطيع بقوله :

وكأنما هو مدوس متقلب فى الكف إلا أنه هو أضلع

يالها من صورة رهيبة لقائد القطيع وهو يصعد ويهبط ويتقدم ويتأخر ويدور حول نفسه كالمسن الذى تصقل به السيوف . كخشبة المسن التى تعلو وتهبط وتدور حول نفسها .

وتصوير القطيع فى النهاية مابين هارب بالبقية الباقية من روحه ، وما بين بارك على جنبيه يتحعجع ملتصق بالأرض قد لقى مصرعه .

فأبدهن حتوفهن فهـــارب بذمائه أو بارك متجعجع

وكذلك فى تصويره الذكر والإناث وهو يحركهن ويسوقهن باليسر الذى يضرب بالقداح ويحركها وذلك فى قوله :

وكأنهن ربابة وكأنــه يســر يفيض على القداح ويصدع

ويستخدم الألوان فى إبراز الصورة وتظليلها فى كثير من المواقف فهو جون السراة . والجون : الأسود ، والأبيض والأحمر. وهن يعثرن فى حد الظبات والدماء تحوطهن من كل جانب كأنها كسيت برود بنى يزيد وهى تميل إلى الحمرة .

• **بين البداية والنهاية :**

بداية القصة عند أبى ذؤيب وعند غيره من الشعراء تبدأ بقوله " والدهر لايبقى على حدثانه " وقد كثر هذا المطلع فى شعرهم كما سيتبين لنا فيما بعد عند جل الشعراء ، حتى أصبح لازمة للقصة فى شعر الهذليين . إذا أراد أحدهم أن يبدأ قصة من القصص بدأها بقوله . والدهر لايبقى على حدثانه ، حتى صار يشبه قولنا فى بداية كل حكاية " كان ياماكان " دلالة على بداية القصة .

والإصرار على بداية القصة بهذا المطلع يجعلنا لانميل إلا ماقاله صاحب كتاب " الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوى فى دراسة الشعر الجاهلى " عندما قال : هكذا تتشكل الشريحة الثانية التى تبدأ كما بدأت الشريحة الأولى بصيغة تقريرية تؤكد حتمية فناء بطل الشريحة (حمار الوحش) وانهياره أمام الموت ، لكنها مع ذلك تستمر لتروى حكاية صراعه . وهذه صيغة فاجعة تماما للحكاية ، لأنها تقدم النهاية سلفاً) (١) وهو يقصد بهذه الصيغة التقريرية التى قدمت النهاية سلفا ، وفجعت الحكاية تماما ، قول أبى ذؤيب " والدهر لايبقى على حدثانه " ولا أميل إلى ذلك القول .

١- الرؤى المقنعة . كمال أبو ديب ، ص ٢١٦ .

أولاً : لتكرار هذا المطلع فى بداية القصة عند جل الشعراء الجاهليين . وثانيا لاختلاف نهاية القصة رغم اتفاقها فى هذا المطلع مابين موت وتشرد وضياع ومجهول كما سنرى عند شعراء بنى هذيل مع استخدامهم لهذه الصيغة . مع ملاحظة أنه لاحجر على القصاص أبدا أن يبدأ القصة من نهايتها أو من وسطها أو من أولها.

هذا بالنسبة لبداية القصة . أما نهايتها فهى مرتبطة بموضوع القصيدة فإذا كان الموضوع للرثاء اختلفت النهاية عن الفراق ، أو الغربة أو ماشابه ذلك . وإذا كان الموضوع فى الرثاء اختلفت النهاية أيضاً باختلاف الطريقة التى مات بها المربى ، فإذا كان قد مات فى الحرب جاءت النهاية وفيها مقاومة للصائد بعكس من مات مسموما ، أو مبطنا أو مات على فراشه أو بالطاعون أو متشابه ذلك .

والقصة التى بين أيدينا مات فيها أولاد الشاعر بالطاعون أو بالسم ومن هنا نرى موت القطيع دون مقاومة وقد أشرنا إلى ذلك فى ارتباط القصة بموضوع القصيدة .

القصة الثانية

﴿قصة الثور﴾

والدهر لا يبقى على حدثانه ... شببُ أفزّته الكلاب مُروَّعُ
شَعَفَ الكلابُ الضارياتُ فؤاده ... فإذا يرى الصبح المصدق يفزعُ
ويعوذ بالأرطى إذا ما شفه ... قَطْرُ وراحته بليلٌ زعزع
يرمى بعينيه الغيوب وطرفه ... مغض يصدق طرفه مايسمع
فغدا يشرق متنه فبدا له ... أولى سوابقها قريباً توزَع
فاهتاج من فزع وسد فروجه ... غبر ضوار وافيان وأَجْدَع
ينهَشْنَه ويذُبهُن ويحتمى ... عُبْلُ الشوى بالطرتين مولع
فنحاها بمذلقين كأنما ... بهما من النضح المجدح أيدَع
فكأن سفودين لما يُقْتَرَا ... عجلا له بشِواء شرب ينزع
فصرعنه تحت الغبار وجنبه ... متترب ولكل جنب مصرع
حتى إذا ارتدت وأقصدعُصْبَةً ... منها وقام شريدها يتضرع
فبدا له رب الكلاب بكفه ... بيض رِهَاف ريشُهُن مُقَزّع
فرمى لينفذ فرها فهوى له ... سهم فأنفذ طرتيه المنزع
فكبا كما يكبو فنيق تَارِز ... بالخبت إلا أنه هو أبرع

• **رؤية لغوية** :

هذه هى القصة الثانية فى القصيدة نفسها . قصة الثور . وهى ليست قصة مكررة من الأولى . ليست قصة ثور ظهرت له كلاب فقضت عليه . أبدا ، ولكننا مع بطل آخر يغاير ويناقض البطل الأول تماما . النموذج مختلف تمام الاختلاف فصورة جو السراة كما رأينا صورة الفرح المستبشر الذى يعب من الدنيا ولذاتها ، صخب الشوارب ، يجد ويشمع ، والدنيا تعطيه مايتمنى . ولكن بطل هذه القصة يختلف تماما كما سنذكره . وأصدر القصة بهذا حتى لايتوهم القارئ أنها قصص مكرور لحيوانات تختلف فى أشكالها وتتفق فى مصيرها .

نحن الآن مع بداية القصة " والدهر لايبقى على حدثانه " " اللازمة " فى قصص الهذليين . كان ياماكان . كان هناك شبب [١] هذا الشبب قد أفزته الكلاب ، أزعجته وطيرت فؤاده . يعانى من الوحدة ، فليس معه أحد من بنى جلدته . ولم تأت القصة على ذكر أحد غيره . وهو ثور مفزع ، يفزع من كل شئ ويخاف مما حول

١- الشبب والشبوب والمشب : المسن من ثيران الوحش (مادة شبب لسان العرب) .

وحق له أن يفعل ذلك فتجربته السابقة جعلته يخاف من الكلاب ومن الصائد ومن كل شئ .وهو مروع وخائف أبدا . هذا الخوف يطارده فى كل مكان ، الكلاب الضاريات قد أذهبن لب هذا الثور مامن صبح يطلع إلا ويتسلط الخوف على قلبه مترقبا ظهور الكلاب كما ظهرت له قبل ذلك . وهو فى خوفه يأخذ حذره ، ويعوذ بالأرطى[١] يلجأ إلى تلك الأشجار العالية فى الصحراء ويتوارى خلفها من خوفه ومن البرد ، ومن الكلاب ومن الرياح ومن كل شئ .

وحتى وهو قابع فى مكمنه يرمى الغيوب بعينيه ، يحاول أن يرى مالا يرى وأن يسمع مالا يسمع ، وأن يحس مالا يحس من شدة فزعه وخوفه .

عينه معلقة بالمجهول وسمعه كذلك فى حالة تصنت شديد وترقب أشد .هذه هى صورة البطل ، بطل القصة الثانية ، ثور فزع خائف من كل ماحوله لم تعطه الدنيا شيئاً ، ولو أعطته لما مدّ يده ، لخوفه الشديد وتقوقعه على نفسه . فيا ترى هل هو آمن بهذه الصورة من غدرات الزمان ؟

١- الأرطى : جمع واحده أرطأة وهو شجر ينبت بالرسل عصيا من أصل واحد .

في يوم مشئوم خرج هذا الثور على عادته ، خرج من مأمنه، عاني من شدة البرد ، تطلع إلى قليل من ضوء الشمس ، غدا يشرق متنه ، وعندها كان ماكان . فغدا يشرق متنه فبدا له . ياله من حياة مؤلمة عابسة لامتعة فيها ولا رغد . فغدا ، فبدا . في سرعة متلاحقة ، وتلازم مفجع محزن .

سرعة متلاحقة لم تتح له أن يهنأ بإشراقة الشمس ، ولا أن ينعم بالدفء . فبدأ له أولى سوابقها قريبا توزع [١] ظهرت له أولى سوابق الكلاب ويحاول الصائد أن يحد من سرعتها لتجتمع كلها . لتكون يدا واحدة على الثور ، فاهتاج من فزع ، ارتاع من الفزع ، وسد فروجه [٢] ، غبر ضوار [٣] وافيان وأجدع ، لقد شلت الكلاب حركته وحاصرته من كل طريق ، ولم يبق أمامه سوى المواجهة مع كلاب غبر مدربة مستأسدة من كل نوع مقطوعة الأذن وغير مقطوعة. وما أسرع ماأطبقت الكلاب في لحم هذا الثور ينهشنه [٤]

١- توزع : تزجر وتكف من الصائد ليقف السابق ويجتمع شمل الكلاب .

٢- سد فروجه : قوائمه ، أي ملأ مابين قوائمه بالعدو الشديد ، أو دخلت الكلاب مابين قوائمه وشلت حركتة الديوان ، ص ١٢ .

٣- كلاب تضرب لونها إلى الغبرة .وضوار : أي ضريت واستأسدت .

٤- النهش : دون النهس نذ، وهو القبض على اللحم ونتفه(لسان العرب مادة نهش).

ويذبهن ، يدفع الكلاب ماأمكنه ، وبكل ماأوتى من قوة ، فهى معركة حياة أو موت . ويرسم الشاعر صورة فى هذا الوقت لمحها لهذا الثور فهو عبل الشوى ، هو غليظ القوائم ، وعلى كتفيه خطان أسودان وهما الطرتان . وهنا بدأت المعركة " فنحالها " فمال إلى الكلاب وقصد إلى الكلاب ، بمذلقين ، بقرنين محددين أملسين ، سرعان ماتحول لونها من كثرة الضرب إلى اللون الأحمر القانى " كأنما بهما من النضح المجدح أيدع " [١] من كثرة طعنه وتحريكه لقرنيه فى جوف الكلاب .

إنها معركة حياة أو موت ، يبذل الثور فيها كل مايملك وفوق مايملك ، سلاحه مع الكلاب هذه القرون التى تجول فى بطون الكلاب ، وقد امتلأت بالدم ولو شئت أن تراها وقد نفذت من جنب الكلب لرأيت سفودين لما يقترا [٢] لرأيت حديدتى شواء نزع عنهما

١- النضح : ماتطاير من دم ، والمجدح ! الذى حركه الثور بقرنه فى أجواف الكلاب وأيدع : الأيدع الزعفران وقيل : دم الأخوين ، وقيل صمغ أحمر .

٢- السفود : حديدة ذات شعب معقوفة يشوى بها اللحم ، وجمعه سفافيد (لسان العرب مادة سفد) القترة: غبرة يعلوها سواد كالدخان ،والشرب جماعة يشربون الخمر.

الشواء ولما يبردا فهما حاران مـن كـثرة الطعن . وصـرع الثـور كلبا من الكلاب ، وسقط الكلب وسط الغبار وجنبه متترب ، وارتدت بقية الكلاب ، ورجعت للخلف هاربة ، وأقصدت عصبة منها ، وقام شريدها يتضرع . لقد استطاع الثور أن يحسم المعركة لصالحه ، وأن ينتصر على الكلاب ، ولكن المعركة لم تنته بعد .

ولكن قوة أخرى كانت له بالمرصاد . فبدا له رب الكلاب . ونلاحظ هنا المواجهة الفردية ، فبدا ،وبداله ، وقد تسلح بأسلحة الموت والدمار ، بدا له بكفه بيض رهاف ديشهن مقزّع [١] ، فرمى ، أحس الصائد أن كلابه قد ضاعت ، وأنه لابد من التدخل لينقذ الفار منها، أصاب الثور ، نفذ السهم من جنبه فكبا .

هى النهاية ، نهاية هذا الثور المستوحش الخائف ، نهاية المدافع عن نفسه ببسالة ، كما كانت نهاية غيره

فكبا كما يكبو فنيق تارز بالخبت إلا أنه هو أبدع [٢]

١- بيض رهاف : رقاق الشفرات . قذع السهم : ماتفرق منه ريشه (لسان العرب مادة قزع)

٢- الفنيق: الفحل من الإبل ، التارز :اليابس الذى لاروح فيه .الخبت . ماالطمأن من الأرض واتسع .

• **رؤية فنية :**

علاقة القصة بموضوع القصيدة :-

موضوع القصيدة كما أسلفنا هو بكاء الشاعر لأولاده، وقد لاحظنا فى مطع القصيدة أن أبا ذؤيب لايبكى أولاده فقط، ولكنه يبكى نفسه مع هؤلاء الأولاد ،أو يبكى نفسه من خلال هؤلاء الأولاد ، فالأولاد فى البيئة الجاهلية هم عصب الحياة ، هم الراعى ، وهم المدافع ،وهم الأمان ،منهم يخاف العدو ومنهم تستمد القوة والسيادة ، بعد فقد هؤلاء الأولاد ، خمسة فى لحظة واحدة أحس أبو ذؤيب أنه هو الذى سقط ، هو الذى مات ، ولذلك فهو يبكى نفسه فى بداية القصيدة :

أمن المنون وريبهــا تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

إن الدهر لن يرجع ولن يتراجع عند جزعك وتوجعك .

وها هى أميمة تسأله منكرة علية شحوبه ،وامتهانه الأعمال الشاقة، رغم ما عنده من مال ،منكرة علية قلقه وعدم نومه .

قالت أميمة ماجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ماجنبك لايلائم مضجعا الا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ماجسمى أنه أودى بنى من البلاد فودعوا

أودى بنـــي وأعقبـوني غصّــة بعد الرقاد وعبـرة لاتقلــــــع

أرأيت أبا ذؤيب وهو يصف حاله ، وشحوب جسمه ، وابتذال نفسه ، وقلق مضجعه ، لماذا ؟ لهلاك أولاده ، ثم ، وبعد هذه الإجابة المقتضبة عن هلاك أولاده ، يعود إلى نفسه نادبا لها ، باكيا إياها ، قلقا على مصيره في وسط الأعداء ، وفي وسط هذه البيئة التي قوامها بالأبناء ؟ أودى بني وأعقبوني حسرة بعد الرقاد وعبرة لاتقلع .

سبقوا هوى ، وأعنقوا لهواهم ، فتخرموا ولكل جنب مصرع

ثم يعود للحديث عن نفسه :-

فغبرت بعدهم بعيش ناصـــب وإخـال أنـي لاحــق مستتبــع

ثم يعود للحديث عن نفسه :

لابد من تلــف مقيم فانتظــر أبأرض قومك أم بأخرى المصرع

ثم يعاود الحديث عن نفسه :-

وليــأتين عليــــك يـــوم مـــرة يبكـي عليـك مقنعـا لاتســـمع
وتجلدي للشامتيـــن أريهـــم أني لريب الدهر لا أتضعضـــع

أرأيت أنه مع بكاء أولاده يبكي نفسه ، يبكي وحدته ، يبكي

قلقه وخوفه " وتجلدى للشامتين " إن القصة الثانية التى بين أيدينا ، قصة هذا الثور المفزّع ، قصة هذا الثور المتوجس الخائف الفزع، تلك القصة هى قصة الأب الوحيد الأعزل القلق المتوجس الخائف بعد موت الأبناء . فالقصة السابقة هى قصة الأبناء الخمسة ، والقصة الثانية " قصة الثور " هىالأب وقد أُفْرِد ، وكَمُنَ خائفا ينتظر حتفه " لابد من تلف مقيم فانتظر " أبأرض قومك أم بأخرى المصرع " وإخال أنى لاحق مستتبع " ولذلك فهو خائف حتى من الصباح " فإذا يرى الصبح المصدق يفزع " والقطر ، والمطر الذى هو مادة الحياة فى الصحراء ، وبَالُ عليه " ويعوذ بالأرطى إذا ماشفه قطر وراحته بليل زعزع " ورغم تجلده للشامتين . ورغم أن الثور ناضل بقرونه ، لكن ذلك لايفيد " لابد من تلف مقيم " حتى المعركة التى أدارها لم تكن معركة مع الصائد ، وإنما مع الكلاب . مع هؤلاء الشامتين من حوله " وتجلدى للشامتين " ثم حسمها الصائد فى النهاية ، إنها قصة الأب بعد فقد أولاده .

• **البيئة** :

البيئة انعكاس لموضوع القصيدة ، وموضوع القصيدة يخيم عليه جو القلق والتوجس وتوقع الموت . وموضوع القصيدة فيه انعزال عن المجتمع ، ولذلك فالقصة تخلو من الزمان والمكان إلا

ما ندر . وهذه الندرة جاءت متساوقة مع موضوع القصيدة . فالأشجار ، عصى طويلة تخرج من أصل واحد يعوذ بها ويلجأ إليها " ويعوذ بالأرطى إذا ماشفه " والأمطار التى هى رمز الخير والنماء ، جاءت هنا لتبلل جسده ، وتشعره بالبرد ، وتدفعه إلى حتفه عندما يغدو ويشرق متنه المبتل من المطر . حتى الزمان ، الصباح والاشراق رمز الأمل والأمان ، تحول فىالقصة إلى قلق وخوف وتشرد وموت " فإذا يرى الصبح المصدق يفزع " " فغدا يشرق متنه فبداله " .

• **الشخصيات** :

– الشخصية الأولى :

شخصية هذا الثور الوحيد وقد أفرد فى مكان ما . وقد اهتم الشاعر برسم البعد النفسى لهذه الشخصية ، ولم يتناول البعد الجسمى إلا فى لحظات خاطفة فهو " شبب " ثور مسن ، هذا هو البعد الجسمى . وبعد ذلك مباشرة أفزته الكلاب ، يعيش فى فزع من الكلاب ومن إشراقة الصباح مخافة ظهور الكلاب ، ومن المطر الذى يبلل جسده ويشعره بالبرودة . يتطلع على البعد حذرا من هجمة ، أو بطشه ، يرهف سمعه منصتا لكل نميمة أو صوت خفى . هذا هو البعد النفسى لهذا الثور . حتى بعض ملامح البعد

الجسمى ساقها الشاعر فى لحظة لاتنفع فيها ، وهى لحظة الموت .

ينهشـــه ويذبهن ويحتمى عبل الشوى بالطرتين مولع

– الشخصية الثانية :

شخصية الكلاب . وقد اهتم بها الشاعر وجسّدها لأنها تُمثّل الشامتين والحاسدين وهم قوة لايستهان بها . فالكلاب من أول لحظة فى القصة تشغل تفكير الثور " شبب أفزته الكلاب " وفى البيت الثانى " شعف الكلاب الضاريات فؤاده " وقد رسم الشاعر فى القصة شخصية الكلاب ، فهم كثر ، هم عدد لايستهان به ، وقد انطلقت الكلاب عند رؤية الثور تسابق بعضها بعضا ، ويحاول الصائد أن يجمعها من شتات . وقد تناول البعد الجسمى للكلاب . فهى غبر ، ألوانها كالحة تميل إلى السواد . فيها الأجدع وغير الأجدع ، فيها من قطعت أذنه وفيها غير ذلك . وهى ضارية متوحشة متعودة على نهش لحوم الفريسة .

– الشخصية الثالثة :

شخصية الصائد . وهو يأتي في مرتبة أقل بالنسبة لشخصية الكلاب . هو متوار خلفها ، ولذلك لم يعبر عنه بالصائد ، أو القانص ، لم يذكر صفته الجسمية ، ليس بمتحزم ولا بمتربص ،

وإنما هو " رب الكلاب " فبدا له رب الكلاب " وقد انصب البعد الجسمي للصائد على مافي يديه من أسلحة " بكفه بيض رهاف ريشهن مقزع "

• **الأحداث :**

تبدأ القصة وقد تصاعدت الأحداث وتأزمت وتشابكت . فالقصة قد ابتدأت من منتصفها وسبقتها أحداث قبل ذلك . سبقها ضياع بقية القطيع حتى تحول هذا الثور إلى هذه الوحدة . وسبقها تعرض الكلاب مرات ومرات لهذا الثور حتى " شعف الكلاب الضاريات فؤاده . وبدأت أحداث القصة بعد تلك الأحداث بحدث جديد تحركت معه شخوص القصة فقد هطل المطر ، وابتل ظهر هذا الثور ، وأشرقت الشمس بعدها فتحرك الثور من مكمنه وراح يشرق متنه ، وقد ترتب على هذا الحدث أحداث أخرى ، وتطور في القصة ، تحرك الثور ، وظهرت الكلاب ، والتحمت الكلاب ، مع الثور ينهشنه ويدفعهن ويضرب بقرونه حتى سقطت الكلاب صريعة ، وفر بعضها هاربا بنفسه ، وترتب على ذلك الحدث حدث آخر ، وهو تحرك الصائد لينقذ كلابه " فبداله رب الكلاب " . وترتب على ظهور الصائد سقوط الثور مدرجاً بدمائه ، فالأحداث متسلسلة ومتطورة ونامية .

• الصياغة :

لقد استخدم الشاعر فى عرض قصته طريقة السرد المباشر عن ثور تعرض يوماً لهجوم من الكلاب الضارية فاستبسل فى الدفاع عن نفسه حتى هزم الكلاب ، ولكن رب الكلاب لم يتركه بل صرعه بسهم فكبا والدماء تتناثر من جنبيه .

وقد استعان فى صياغته للقصة برسم صور رائعة من مثل قوله :

يرمى بعينه الغيوب وطرفه مُغْضٍ يصدق طرفه ما يسمع

فلو حاول فنان ان يصور هذا المنظر ويرسمه بتلك الصورة التى أبرزها أبو ذؤيب لأجهد نفسه قبل أن يصل إلى ذلك ، فعيناه تنظر إلى بعيد ، إلى المجهول ، إلى ما وراء الأطراف المترامية ، إلى ما خلف الوهاد والجبال والآكام ، وهو لا ينظر إليها وإنما يرمى بعينيه الغيوب ، وطرفه مغضٍ ، آذانه مرهفة بالأرض تستمع لكل همسة تترامى إليه . ونلاحظ العلاقة بين " يرمى بعينيه" و " يغضى طرفه " ونلاحظ التصوير فى " ينهشنه ، ويذبهن ، ويحتمى " كل فعل من هذه الأفعال يعطى حركة .

ثم يُدخِل الشاعر وسط هذه اللوحة ألوانا مختلفة لطرّتى الثور وقد بدت وتناثرت هذه الألوان بين ينهشنه ويذبهن ويحتمى .

وتشبيهه لقرون الثور وهى تشتعل حرارة ودماء ودخاناً من سخونة الدماء بسفودين ، بحديدتى شواء قد نزع عنهما الشواء فى عجلة .

وكذلك تصوير حركة الكلاب بعد هزيمتها وقد ارتدّت ، وأقصد عصبة منها ، وقام شريدها يتضرع .

• **النهاية** :

لقد انتهت هذه القصة بموت الثور ، كما انتهت القصة السابقة بموت الحمار الوحشى ، ومع ذلك فالنهاية مختلفة باختلاف الموضوع .

فى قصة الحمار الوحشى الذى يصور موت أولاد أبى ذؤيب بالسم الذى شربوه تأتى النهاية " فشربن ثم سمعن حسا " وهنا فى هذه القصة ، قصة أبى ذؤيب الحذِر من الدنيا ، المتوجس منها تأتى النهاية " فغدا يشرق متنه فبداله " .

ومن ناحية أخرى نحن لا نجد فى القصة الأولى مقاومة من حمير الوحش بل إن الصائد كان يسرع بسهامه ليصيد أكبر قدر من حمير الوحش .

فبداله أقراب هذا رائغاً عجلاً فعيث فى الكنانة يرجع

" فرمى فأنفذ " ، " فرمى فألحق " ، " فأبدهن حتوفهن " كل الهجوم وكل الفعل من الصائد .

أما فى هذه القصة فالوضع مختلف ، هنا مقاومة ، مقاومة بشراسة وضراوة ، هنا نجد الزمام فى يد الثور ، هو الذى يصدر الفعل " فنحالها بمذلقين " ، " وأقصد عصبة منها " إلى أن ظهر رب الكلاب وصدر منه فعل واحد " فرمى لينقذ فرها " لتأتى النهاية .

ومن هنا نؤكد على اختلاف الطريقة التى ينهى بها الشاعر قصته باختلاف موضوعه .

القصة الثالثة

﴿قصـــة الفـــارس﴾

والدهر لا يبقى على حدثانه ... مستشعر حلق الحديد مقنع
حميت عليه الدرع حتى وجهه ... من حرها يوم الكريهة أسفع
تعدو به خوصاء يفصم جريها ... حلق الرحالة فهى رخو تمزع
قصر الصبوح لها فشرج لحمها ... بالنىّ فهى تثوخ فيها الأصبع
متفلق أنساؤها عن قانئ ... كالقرط صاو غبره لا يرضع
تأبى بدرتها إذا ما استكرهت ... إلا الحميم فإنه يتبضع
بينا تعانقه الكماة وروغه ... يوماً أُتيح له جرئ سلفع
يعدو به نهش المشاش كأنه ... صدع سليم رجعه لا يظلع
فتناديا وتواقفت خيلاهما ... وكلاهما بطل اللقاء مخدّع
متحامين المجد كل واثق ... ببلائه واليوم يوم أشنع
وعليهما مسرودتان قضاهما ... "دواد" أو صنع السوابغُ "تبع"
وكلاهما فى كفة يزينة ... فيها سنان كالمنارة أصلع
وكلاهما متوشح ذا رونق ... عضبا إذا مس الضريبة يقطع
فتخالسا نفسيهما بنوافذ ... كنوافذ العبط التى لا ترقع

وكلاهما قد عـاش عيشة ماجد وجنى العـــلاء لو ان شيئاً ينفع

• **رؤية لغوية :-**

هـذه قصــة إنســان ، ســمات البطـــل فيهـــا مختلفـــة عـــن الأولى والثانية ، فهو ليــس كجـون السـراة لاه لاعـب ، ولا كـالثور الخائف المرتعد ، ولكنه فارس دارع " مستشـعر حلـق الحديـد " (١) مقنع ، قل ما شئت في وصفه وفي شجاعته ، يلبس خوذة الحديـد ، وحلق الحديد ، وقد لبس عدة الحرب زمناً طويلاً حتـى أثـرت تلـك العدد فـي وجهـه " وجهـه مـن حرهـا يـوم الكريهـة أسـفع " (٢) وقـد اختـار لـه فرساً تناسب قوتـه ، وتتحمـل صولتـه وجولتـــه ، فهـى خوصاء تنظر بطرف عينها نشاطاً ، وهى سـريعة العـدو ، يعلوهـا صدرها ويهبط لدرجة أنها تقطـع الحلـق التـى فـى حـزام سـرجها ، تعدو بسرعة وشدة ، قد حبس لبنها عليها واختلط لحمها بشحمها (٣) ، هذه الفرس ذاوية الضرع لم تحمل من زمن فهى شديدة .

١- ليت شعرى ، ليت علمى ، تقول للرجل : استشعر خشية اللـه ، أى اجعله شعار قلبك ، ومستشعر : متخذ حلق الحديد شعاراً ولباساً ، لسان العرب مـادة شعر .

٢- الأسفع : الأسود ، وأسفع : متغير .

٣- قال الأصمعى: وهذا من أخبث ما نعتت به الخيل لأن هذه لـو عـــدت =

وبعد أن وصف شكل الفرس الخارجي عمد إلى وصف نفسيتها فقال :

تأبى بدرتها إذا ما استكرهت إلا الحميم فإنه يتبضع

ثم عاد الشاعر إلى الفارس بعدما تناوله وتناول فرسه فقال :

بينا تعنقه الكماة وروغه يوماً أتيح له جرئ سلفع

= ساعة لانقطعت لكثرة لحمها ، وإنما توصف الخيل بصلابة اللحم ، وأبو ذؤيب لم يكن صاحب خيل ، ديوان الهذليين ، ص ١٦ .

ويعلق الدكتور عبد الجواد الطيب على هذا بقوله : ويروى صاحب الصناعتين في هذا قول الأصمعي : لإن هذه الفرس لا تساوي درهمين ، أنه جعلها كثرة الشحم رخوة تدخل فيها الأصبع ، وإنما يوصف بها شاة يضحى بها ، وجعلها حروناً إذا حركت قامت ، أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص ٨٤ ثم أننا نجد امرأ القيس وهو من هو في الفروسية والإجادة في وصف الخيل كما ألمعنا لم يسلم هو نفسه من هنات أخذت عليه بصدد وصفه للخيل في أكثر من موطن ، المرزباني ، الموشح ، ص ٣٠ ، ٤٢ .

وهكذا نرى أن الشعراء في هذا المجال وفي غيره قد خلطوا قولاً صالحاً وآخر سيئاً ، فلا يصح على أساس ما رأيناه من خطأ في وصف الخيل عند شعراء هذيل أن نعمم القول بأن الهذليين كانوا لا يعرفون الخيل ، (هذيل في جاهليتها وإسلامها) د/ عبد الجواد الطيب ، ص ٩٦ .

هذا الفارس فى حياته وفى معاركه بين إقبال وإدبار ، وكر وفر ، تارة يقبل ، وأخرى يراوغ ويصارع إلى أن كان هذا اليوم الذى قابل فيه جرئ سلفع .

هى إذن بداية النهاية ، فقد التقى ببطل آخر ، يعدو به نهش المشاش كانه صدع سليم رجعه لا يظلع ، يسرع به فرس خفيف القوائم سريع العدو كأنه صدع ، كأنه ظبى فتى قوى يرجع قوائمه فى سلاسة وسلامة وخفة لا يظلع ولا يعرج فى مشيته .

" فتناديا " هذا هو المسرح الذى ستدور عليه المعركة ، وفى رواية " فتناذرا " أى أنذر كل منهما صاحبه يخوفه نفسه ، وفى رواية " فتنازلا " أى نزل كل منهما عن فرسه ، وترجل كلاهما للقتال ، وكل هذه الروايات تصور بداية المعركة ، وما يحاوله كل خصم من إرعاد صاحبه وتخويفه ، كل واحد منهما يحاول بث الرعب فى صاحبه ، صاح الأول منادياً على الثانى أن يقبل على حتفه وصاح الثانى إنه قادم للقاء ، " فتناذرا " ، كل واحد منهما يزمجر منذراً ومهدداً ، " فتنازلاً " ، نزل كل واحد عن فرسه ليلتحم البطلان ، وترجل كل منهما للقتال ، " فتنادياً " وتوافقت خيلاهما ، وكلاهما بطل اللقاء مخدع ، كلاهما مجرب للحروب ، يحرص على المجد وإحرازه ، هو فى يده ، ملك له ، لقد أحرزه

لسنوات طوال ، لازمه ، عاش معه ، فهو يحميه بكل ما يملك من خبرة وقوة ، متحاميين المجد ، وفى رواية " يتناهبان المجد " وقد علق شارح ديوان الهذليين على هذه الرواية بقوله " وهو أجود " [١] كل واثق ببلائه ، كل واثق بما يقدمه فى مثل هذا المواقف ، يعرف طريقه جيداً ، ويتصور النهاية كما حدثت قبل ذلك ، وكما ستحدث بعد ذلك .

لكن اليوم مختلف ، والساحة مختلفة ، واليوم يوم أسفع ، ويوم أسود ، ويوم شنيع كريه ، وعليهما ، عليهما معا ، إنهما أصبحا شيئاً واحداً ، كلاهما قوى فتى واثق من نفسه ، أصبحا شيئاً واحداً ومصيراً واحداً يتناهبان المجد ، عليهما مسرودتان ، عليهما درعان ، كلاهما فى كفه يزينة ، أرأيت التداخل والالتحام ، لم يعد هناك بطلان ، وإنما هناك تلاحم يواجه مصيراً واحداً ، كلاهما متوشح سيفه .

ومع ذلك ، ومع كل هذه السيوف والدروع والرواحل والخبرة والدربة فقد آن الأوان وحان الحين ، كل واحد من البطلين ينتهز الفرصة للنيل من صاحبه ، فتخالسا نفسيهما ، كل واحد منهما اختلس الفرصة لينفذ إلى نفس صاحبه ، وحانت الفرصة لكليهما

١- ديوان الهذلين ، ج ١ ، ص ١٩ .

في وقت واحد فتخالسا نفسيهما بنوافذ ، بضربات نافذة ، ضربات ليس لها علاج " كنوافذ العبط التي لا ترقع " وكلاهما قد عاش عيشة ماجد ، وجنى العلاء لو أن شيئاً ، لو ان مجداً أو علاء يبقى ويدوم .

• **رؤية فنية :**

ارتباط القصة بموضوع القصيدة :

ساق أبو ذؤيب في بكاء أولاده ثلاث قصص ، صور في الأولى أولاده ومصيرهم ، وصور في الثانية حاله وقلقه ومصيره ومآله ، وصور في الثالثة حال الناس جميعاً مهما حشدوا من قوة ، ومهما أعدوا من عتاد فالمصير واحد ، ولا بد أن تأتي النهاية ، وقد اضطرتنا الدراسة الفنية إلى تقسيم القصيدة إلى ثلاث قصص ، ولكن الواقع يؤكد أنها قصة واحدة تموج بالحياة ، ونماذجها ، نموذج مبتهج ، ونموذج بائس متوجس ونموذج جاد في الحياة ، والنماذج كلها تأخذ حظها من الحياة سعادة أو شقاء ، ثم تنتهي الحياة بحلوها مرها .

• **الشخصيات :**

– الشخصية الأولى :

ليست لثور ، ولا لحمار وحشي ، ولا حتى لإنسان عادى ، ولكنها شخصية فارس ، اتخذ عدة الحرب له شعاراً ولباساً ، تمرس فى الحرب ، وأثرت فيه عدده ، وجهه من حرها يوم الكريهة أسفع ضمن عُدد هذا الفارس فرس قوية تقطع حلق السرج من شدة حركتها وصعودها وهبوطها .

– الشخصية الثانية :

شخصية الفرس ، وقد عاب النقاد على أبى ذؤيب وصفه الفرس بهذا الأوصاف ، فالبعد الجسدى للفرس كما رسمه أبو ذؤيب لا يتناسب مع الفرس وإنما يناسب شاة يُضَحَّى بها كما قال أبو هلال العسكرى [١] فقد رسم صورة للفرس وهى تتوخ فيها الأصبع من كثرة لحمها ، وفرس بهذا الصورة لو عَدَتْ ساعة لانقطعت ، ثم وصفها متنا ولا البعد النفسى لها فقال :

تأبى بدرتها إذا ما استكرهت   إلا الحميم فإنه يتبضع

١– الصناعتين ، ص ٨٤ .

فهى فرس حرة تعطى ما عندها من جهد وقوة ، فإذا ما حركتها بساق ونحوه تركت العدو .

– الشخصية الثالثة :

شخصية فارس آخر قابل الفارس الأول وهو جرئ سلفع [١] وله فرس خفيف القوائم فى العدو كأنه ظبى لا صغير ولا كبير .

– الشخصية الرابعة :

فى القصة ، شخصية جديدة ، مزج فيها الشاعر الفارسين وجعل منهما شخصية واحدة ، تلبس شيئاً واحداً ، وتفكر بعقل واحد وتتحرك فى وقت واحد " فتناديا " وتواقفت خيلاهما " " كلاهما بطل اللقاء مخدع " " متحاميين المجد " "عليهما مسرودتان " "كلاهما فى كفة يزينه " " كلاهما متوشح ذا رونق " " تخالسا نفسيهما بنوافذ" كلاهما قد عاش عيشة ماجد ، وهكذا نرى أن هذه هى سمات الشخصية الجديدة ، امتزج فها الفارسان بهذه الصورة المتكاملة ، وهكذا اراد الشاعر اكتمال الشخصيتين وتساويهما ، ومع ذلك لابد من الفناء ولو بأيديهما .

١– السلفع : الشجاع الجرئ الجسور ، لسان العرب مادة سلفع .

• **الأحداث :-**

الأحداث فى هذه القصة قليلة ولكنها تبدأ من النهاية ، من نهاية القصة ، من نهاية الأحداث ، تبدأ القصة بنهاية البطل . ترجع إلى الوراء لتطلعنا على ماكان من هذا البطل قبل ذلك ، فقد خاض غمار الحروب حتى أثرّت عليه الدرع وقد حميت عليه فى معارك كثيرة حتى أثرت فى وجهه . وتكشف لنا الأحداث أيضاً عندما يقول الشاعر " متحاميين المجد كل واثق ببلائه " عن معارك سابقة خاضها كل بطل وعلم من نفسه القوة والشجاعة ، ومن هنا فهو واثق ببلائه .

وتضعنا الأحداث فى موضع المواجهة بين البطلين ، وجها لوجه :-

بينا تعنقه الكماة وروغه يوما أتيح له جريئ سلفع

ومن هنا تبدأ أحداث صغيرة ، وسريعة " فتناديا " و " تواقفت خيلاهما " وبعد تلاحق تلك الأحداث الصغيرة يصنع الشاعر فاصلا يصف فيه عُدد الحرب للبطلين ، ثم يأتى بالحدث الأخير الذى ينهى به القصة (فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التى لاترقع) وتنهى القصة .

ونلاحظ هنا قلة الأحداث من ناحية وعدم تطورها من ناحية أخرى ، وكأنها أقصوصة ذات حدث واحد ، أو لقطة فريدة في الحياة.

• **الصياغة** :-

استخدم الشاعر طريق السرد المباشر في هذه القصة وقد استخدم الكناية في التعبير وذلك في قوله " مستشعر حلق الحديد " كناية عن المداومة على لبسها حتى صارت شعارا وعلامة له . وكذلك قوله في وصف الفرس " يفصم جريها حلق الرحالة " كناية بن شدتها . واستخدم التشبيه وذلك في قوله في وصف الفرس "يعدو به نهش المشاش كأنه صدع " .

وقوله في وصف السنان " فيها سنان كالمنارة أصلع "

والسرد هنا مركز جداً فكلمة " فتناديا " يستطيع أن ننثرها في صفحات وهي تصور لنا وتحمل في باطنها وظاهرها تلك الصيحات التي يصيحها الأبطال في وقت القتال في محاولة لإرعاب الخصم وإذهاب عقله وتشتيت لبه . وكذلك كلمة " متحاميين المجد " فهي تحمل في ثناياها كثيرا من الكلمات والأحداث ، فقد خاض كل واحد منهما معارك كثيرة أحرز فيها

المجد ، وما عليه الآن إلا أن يحافظ على هذا المجد الذى وصل إليه .

• **النهاية :-**

نهاية القصة هى الموت ، ولكن الطريقة مختلفة ، مختلفة عن القصتين السابقتين . فإذا كانت القصة الأولى بين حيوان ضعيف وبين إنسان قوى مدجج بالسلاح ، وإذا كان هذا الحيوان لم يبد مقاومة ، وإنما أطلق الصائد سهامه فحصدت القطيع حصدا ، إذا كان الأمر كذلك ، وإذا كانت القصة الثانية بين حيوان ضعيف أيضاً ، وحيوانات ضارية وإنسان مدجج بالسلاح وإذا كان هذا الحيوان الضعيف قد دافع عن نفسه بكل قوته وانتصر على الكلاب ثم قهره الصائد وقتله ، إذا كان الأمر فى القصتين كذلك فإن القصة هنا تدير معركة بين الإنسان ونفسه بين الإنسان والإنسان ، وليس هناك هازم ولا مهزوم فالإنسان يدمر نفسه بنفسه ، ويقتل نفسه بيده " فتخالسا نفسيهما بنوافذ " فالبطل هنا قوى والخصم بالقوة نفسها ، وقد بذل كل واحد قوته ، وهى قوة متساوية متعادلة والنهاية هى أيضاً الموت وإن اختلفت الطرق .

﴿قصة أم عمرو﴾

• تقديم :-

أبو ذؤيب شاعر محب متعشق للجمال أينما وجده ، غزله رقيق ، يخلو من الفحش ، وقد تحدث فى قصائده عن عدد من النسوة ، تغزل فيهن ، منهن " أم عمر " تلك التى قال فيها :-

أبى القلب إلا أم عمرو وأصبحت تحـرّق نارى بالشكاة ونارها [١]

ومنهن " أسماء " التى قال فيها :-

ألا زعمت أسماء أنى لا أحبهـا فقلت بلى لولا ينازعنى شغلى

ومنهن " ختماء " التى قال فيها أرق قصائده : -

وأرى البلاد إذا سكنت بغيرها جدبا وإن كانت تطل وتخصب
ويحل أهلى بالمكان فلا أرى طرفى بغيرك مرة يتقلب
وأصانع الواشين فيك تجمّلا وهم علىّ ذو ضغائن دؤب
وتهيج سارية الوَياح من ارضكم فأرى الجناب لها يُحل ويجنب

١- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ٢١ .

وأرى العـــدو يحبكم فأحبــه إن كان ينسب منك أو يتنسب [١]

ومنهن " أم وهب " التى قال فيها :-

تؤمـل أن تلاقـــى أم وهـــب بمخلفـة إذا اجتمعت ثقيــف [٢]

ومنهن " ليلى " التى قال فيها :-

أمن آل ليلى بالضجوع وأهلنــا بنفـف قُوَىً والصُفَيّة عيـــر [٣]

ومنهم " أم الحويرث " التى قال فيها :-

ألا هل أتى أم الحويرث مرســل نَعْم خالد إن لم تعقه العوائـق [٤]

وغيرهن فى أشعاره ، هو متعشـق للجمـال أينمـا وجد ، وقد ترتـب علـى هذا أن ذاعت بعـض علاقاتــه ، وشـاعت أخبــاره ، وراحت قيثارة الشعر تعزف لحن هذه القصة التى اخترنا لها عنوانا يليق بها ... " أم عمـــرو " .

١- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ٦٤ .
٢- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ٩٨ .
٣- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص١٣٧ .
٤- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ١٥١ .

• **رؤية لغوية :-**

هذه قصة واقعية حدثت بالفعل ، وعاش أحداثها شاعرنا أبو ذؤيب ، وصار مادة على ألسنة الناس يحكونه ويتبادلون الحديث فيه ويدلي كل واحد منهم بدلوه . أشخاصها موجودون في واقع الحياة .

حمل هذا الشاعر حكايتهم ، وتأثر بها ، وعاشها ونقلها إلينا بما فيها من صراع وخلاف ووجهات نظر .

وقد يكون الشاعر عنصراً فاعلا في القصة ، فيروح يحكي ويصور ، ويدافع ويزين ، وقد يكون في القصة أطراف أخرى لها نفس الشاعرية فتدلي بدلوها .

وقصة " **أم عمرو** " قصة مثيرة ، كما صورتها لنا الأشعار ، وهي ذاتها شخصية لها أبعادها ، فهي امرأة ذات دلال ، وذات جمال ، تتعلق بالرجال وتوقعهم في حبالها ، أحبت في أول أمرها ، أو علقت في بداية حياتها رجلا يسمى " **عويم بن مالك** " [1] وكان

١- كما ورد في كتاب الأغاني ، ج٦ ، ص ٢٧٤ . وفي هامش الأغاني وردت إشارة إلى هذا الاسم كما أورده ابن قتيبة في كتاب طبقات الشعراء =

عويم هذا يتعشق هذه المرأة ويهيم بها . ولعل الناس قد تسامعوا بذلك ، وراحت العيون تترصد الخطى وسمع أهلها بتلك الأقاويل ، وضيقوا عليها الخناق ، ومنعوها من اللقاء . فلجأ المحب إلى الحيلة المعتادة ، وجعل بينه وبينها رسولا ، وكان هذا الرسول هو **أبو ذؤيب** ، ينقل الرسائل بينهما ويردد الآهات واللوعات ، ويتلو أحاديث الهوى دون خشية الرقباء ، ووقع أبو ذؤيب موقعا حسنا من قلب تلك المرأة ، وأعجبها فيه شبابه وفتوته ، فتركت رجلها الأول وعلقت بأبي ذؤيب ، وراحت تبثه أفانين العشق والهيام ، حتى وقع أبو ذؤيب أسير هواها ، وراح يتحرك شوقا إليها ، والعيون تلمح وتصرخ وراحت القبيلة مرة أخرى تحكي الحكاية الجديدة بين " أم عمرو " وبين أبي ذؤيب . ولم يستطع كتمان هذا الجوى ، وذاك الشوق ، وراح يعزف على قيثارة الشعر ألحانه ، ويسمع الصحراء أنغامه ، وراح يقول :

هل الدهر إلا ليلة ونهارها وإلا طلوع الشمس ثم غيارها
أبى القلب إلا أم عمرووأصبحت تحرّق ناري بالشكاة ونارها
وعيرها الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

= ومالك بن عويم " وورد في خزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ٣١٦ ، وج ٣ ، ص ٥٩٧ يقال له وهب بن جابر .

فلا يهنأ الواشون أنى هجرتها   وأظلم دونى ليلها ونهارها
فإن أعتذر منها فإنى مكذب   وإن تعتذر يردد عليها اعتذارها

وأصبح الناس ،وهم يتحدثون ، وقال نسوة فى القبيلة : أم عمرو تحب أبا ذؤيب ، وقال الرجال ذلك . وعيرها الحاسدون والواشون أنه يحبها ولا ذنب لها فى ذلك ولا عار عليها . فماذا تفعل أم عمرو ؟

وبعد هذه الشائعات وجدت أم عمرو نفسها وقد منعت من زيارته ، ومنعه الأهل من زيارتها . حاول أبو ذؤيب مرات ومرات ، والتمس ساعات الليل الساكنة ، الخالية من الرقيب ، ولكن الليل صار كالنهار فى عدم جدواه ، وقد سر الواشون بذلك ، فلا سروا ولا فرحوا ، قالها أبو ذؤيب تألما وتضجرا من الواشين . وراح الناس يسألونه عن هذه العلاقة وراح يتملص منهم ويعمى عليهم ، فأعلن لهم أن ليس بينه وبينها إلا كما بينه وبين الأخريات ، ولكن الصب تفضحه عيونه " فإن أعتذر منها فإنى مكذب " وراحت الفتيات والنسوة يلاحقن أم عمرو فى كل طريق ، وعند كل مجلس والسؤال مكرور معاد ، سؤال واحد يتردد على الألسنة ، يدور السؤال فى خبث ، يعضّده الهمزات واللمزات ، وهى ترد على كل هذا بالنفى ، وبإنها إشاعات حاسدة ، وترهات حاقد، ولكن أنى لها

ذلك ، وعيونها ناطقة ، وأنفاسها متلاحقة " وإن تعتذر يردد عليها اعتذارها " .

هذا هو **الفصل الأول** من الرواية سجله أبو ذؤيب شعراً ، وأكمله الناس نثراً ، وإشاعة وهمزاً ولمزاً . ثم تنقلنا الأحداث إلى الفصل الثانى ، وأحداثه أكثر إثارة .

والفصل الثانى عنوانه :

﴿ سيفان فى غمد واحد ﴾

• **وأحداثه :-**

تبدأ بعد أن ضيق الخناق على أبى ذؤيب ، ولم يستطع الوصول إلى محبوبته ، فلجأ إلى ابن أخته خالد بن زهير ، وتطوع خالد للقيام بهذا العمل ، وحمل رسائل الشوق والهيام من أبى ذؤيب إليها ، إلى أم عمرو " .

ومرت الأيام ، ومالت أم عمرو مرة أخرى إلى الشباب والفتوة ، إلى خالد بن زهير ، إلى ابن أخت أبى ذؤيب . يالها من

أحداث ، لو لم تكن واقعا يرددها التاريخ لقلنا إنه خيال شعراء .

مرة أخرى بعد أن كبر أبو ذؤيب ، وغضب الخال والمحب ، وغضب المحب منها ، وغضب الخال منه ، وراح الناس يتندرون ويشيرون ويضحكون . وراحت أم عمرو تهدهد عواطف أبي ذؤيب الثائرة ، خوفا من غضبته ، وراحت تلوح له بالحب والغرام ، وأرادت أن تجمع بين العاشقين وأن تمكن لنفسها عند الرجلين ، وما كان أبو ذؤيب ليرضى بهذا ، وجابه أم عمرو بما تكره ، ووضح لها أن هذا أمر لايستقيم ، وقال لها حين جاءته تعتذر إليه :

تريدين كيما تجمعيني وخالداً وهل يجمع السيفان ويحك في غمد[1]

وأهمل شأنها ، وراح يوجه حديثه ولومه وعتابه إلى خالد بن زهير إلى ابن أخته :-

أخالد ماراعيت من ذي قرابة فتحفظني بالغيب أو بعض ماتبدى
دعاك إليها مقلتاها وجيدها فملت كما مال المحب على عمد
وكنت كرقراق السراب إذا جرى لقوم وقد بات المطى بهم تخذى
فأقسمت لا أنفك أحذو قصيدة أدعك وإياها مثلا بعد [2]

١- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ١٥٩ .
٢- المرجع السابق : الصفحة نفسها .

هو إذن التهديد بفضح خالد وأم عمرو ،والانتقام منهما .

كيف تفعل ذلك ياخالد ؟ وأين حق القرابة ؟ ، وأين لأمانة ؟

وكيف وقعت فى أسرها ؟ وسيطر عليك حبها ؟ يمينا مؤكدة ، لأجعلنك وإياها عبرة لمن يعتبر . وسأرسل قصائدى منددا بفعلتك .

وبر ابو دؤيب بقسمه ، وراح يدبج القصيدة تلو القصيدة عائبا على خالد ، فاضحا فعلته : -

خليلى الذى دلّى لغىّ خليلتى ... فكلا أراه قد أصاب عرورها
فشأنلها إنى أمين وإننى ... إذا ما تحالى مثلها لا أطورها
أحاذر يوما أن تبين قرينتى ... ويسلمها جيرانها ونصيرها
رعى خالد سرى ليالى نفسُه ... توالى على قصد السبيل أمورها
فلما تراماه الشباب وغيه ... وفى النفس منه فتنة وفجورها
لوى رأسه عنى ومال بوده ... أغانيج خود كان قدما يزورها
تعلقه منها دلال ومقلة ... تظل لأصحاب الشقاء تديرها
وما يحفظ المكتوم من سر أهله ... إذا عقد الأسرار ضاع كبيرها
من القوم إلا ذو عفاف يعينه ... على ذاك منه صدق نفس وخبرها
فإن حراما أن أخون أمانة ... وآمن نفسا ليس عندى ضميرها[1]

١- المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

وهل يسكت خالد على هذه الفضائح ؟ وتلك الاتهامات ؟

لقد راح يفنّد تلك المقولات ويرد على خاله قولته :-

لايبعدن الله لبك إذا غزا فسافر والأحلام جم عثورها
وكنت إماما للعشيرة تنتهى إليك إذا ضاقت بأمر صدورها
لعلك إما أم عمرو تبدلت سواك خليلا شاتمى تستحيرها
فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها وأول راضى سنة من يسيرها
فإن التى فينا زعمت ومثلها لفيك ولكنى أراك تجورها
تنقذتها من عبد عمرو بن مالك وأنت صفيّ النفس منه وخيرها
يطيل ثواء عندها ليردها وهيهات منه دورها وقصورها
وقاسمها بالله جهدًا لأنتم ألذّ من السلوى إذا مانشورها
فلم يغن عنه خدعه حين أعرضت صريمتها والنفس مر ضميرها
ولم يلف جلدا حازما ذا عزيمة وذا قوة ينفى بها من يزورها
فإن كنت تشكو من قريب مخانة فتلك الجوازى عقبها ونصورها
وإن كنت تبغى للظلامة مركبا ذلولا فإنى ليس عندى بعيرها
نشأت عسيرا لم تديث عريكتى ولم يعل يوما فوق ظهرى كورها
فلا تك كالثور الذى دفنت له حديدة حتف ثم ظل يثيرها
ولا تسبقنّ الناس منى بحزرة من السم مذرور عليها ذرورها
وإياك لاتأخذك منى سحابة ينفر شاء المقلعين خريرها (١)

١- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

ويصمت الشاعران ، وتظل القبيلة تحكى وتحكى ، وتحمل الرياح تلك الحكايات ، حتى تتلاشى مع رياح الصحراء . وتذهب أم عمرو ، وأبو ذؤيب ، وخالد بن زهير ، وتبقى الحكاية خالدة فى أشعار الهذليين .

• **رؤية فنية :ـ**

موضوع القصة :-

القصة من النوع الواقعى الذى حدث بالفعل ، وقد صور لنا أبو ذؤيب أحداث القصة ، وصور تلك الأشعار التى دارت بين خالد بن زهير وأبى ذؤيب مرة أخرى فى صنع بقية أحداثها ، وهذا الشعر المتبادل ، مرة من أبى ذؤيب يتحدث فيه عن حبه لأم عمرو وتعلقه بها ، وحديث الناس عن هذه العلاقة ، وترصد أهلها له ، وكذلك حديث أبى ذؤيب الذى يكشف فيه عن اختياره لخالد بن زهير ليكون رسوله إلى " أم عمرو " وخيانته هذه الأمانة ، وفى شعر خالد بن زهير بقية القصة .

ومن هنا فموضوع القصة ، وهى من قصص الحب والغرام ، يتناول قصة امرأة لعوب تعلق بالرجال ، وتلقى شباكها عليهم ، وقد صورت القصة لنا تعلقها برجل قبل أبى ذؤيب ، ثم بأبى ذؤيب ،

ثم بخالد بن زهير ، وتصور لنا الصراع الذى دار بين هؤلاء الرجال على تلك المرأة .

• **الشخصيات :-**

الشخصية المحورية فى القصة ، تلك التى تحور الأحداث وتحركها وتنميها هى شخصية " أم عمرو " وقد رسمت القصة شخصية " أم عمرو " فبعدها الجسمى وبعدها الاجتماعى وبعدها النفسى .

• **البعد الجسمى : -**

لقد صورت الأبيات " أم عمرو " على أنها امرأة جميلة يقع فى حبالها الرجال لا لأنها امرأة لعوب فقط ، ولكن لجمالها الجسدى ، وقد لايُعوّل على وصف المحب لامرأته ، لأنه يراها هكذا حتى ولو لم تكن جميلة .

ولكن الوصف الصادق الذى نطق به أبو ذؤيب لها بعد ما خانته وهجرته ومالت إلى خالد ، وراح هو يعاتب خالداً فى ذلك فقال :

تعلّقه منها دلالٌ ومقلة تظل لأصحاب الشقاء تدير[١]

ويكرر وصفه لعينها وجيدها ، وأنهما السبب فى إقبال خالد عليها وهو يتحدث عن تجربة ، فقد سبق لهاتين العينين وذلك الجيد أن أمالا شاعرنا إليها فيقول : -

دعاك إليها مقلتاها وجيدها فملت كما مال المحب على عمد[٢]

مرة أخرى يؤكد أن جيدها ومقلتيها هى السبب فى الغرام وأما البعد الاجتماعى ، فقد كشفت لنا الأبيات عن النميمة والوشاية التى وجدت فى ذلك الوقت ، وأصبحت تهدد علاقة أبى ذؤيب بأم عمرو :

أبى القلب إلا أم عمرو وأصبحت تحرّق نارى بالشكاة ونارها
وعيرها الواشون أنى أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها[٣]

وقد أثرت هذه النميمة ، وتلك الوشاية عليها ، فراحت تنكر هذه العلاقة وراح الناس يكذبونها فى إنكارها " وإن تعتذر يُرْدد عليها اعتذارها " .

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١٥٦ .
٢- الديوان ، ج ١ ، ص ١٥٩ .
٣- الديوان ، ج ١ ، ص ٢١ .

• وأما البعد النفسي :-

وهو حصيلة البعد الجسمي والبعد الاجتماعي ، فإننا نجد أم عمر وهي تتلاعب بأبي ذؤيب ، هجرا ، وتبديلا للأخلاء :-

فإن تصرمي حبلي وإن تتبدلي خليلا ،وإحداكن سوء قصارها[1]

وبلغ بتلاعب أم عمرو بأبي ذؤيب ،أنها أرادت أن تجمع بينه وبين أبن أخته " تريدين كيما تجمعيني وخالداً " .

وأما أبو ذؤيب فهو كما قلنا محب لأم عمرو ، ورغم ماتقوم به من هجر وصرم فإن أبا ذؤيب يحفظ العهد ، ويكتم السر :-

فإني إذا ماخلة رث وصلها وجدّت بصرم واستمر عذارها
حالت كحول القوس طلّت وعطلت ثلاثا فزاع عجسها وظهارها
فإني جدير أن أودع عهدها بحمد ولم يرفع لدينا شنارها

فهو يودع حبه وعهده في صمت ، ولا ينطق بكلام قبيح . وهو أيضاً يرفض أن يكون رجلاً ضمن رجال كثيرين عند أم عمرو ، هو سيف وحده ولا يجمع السيفان في غمد :-

تريدين كيما تجمعيني وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

١- الديوان ، ج ١ ، ص ٢٨ .

وأمـا شـخصية خـالد بـن زهـير ، فهـى شـخصية واضحـة وصريحة ، تتعالمل مـع الواقـع ، الواقـع الـذى جابـه بـه أبـا ذؤيـب بقوله:-

فلا تجز عن من سيرة أنـت سـرتها وأول راضـى سـنة مـن يسـيرها
فـإن التى فينـا زعمت ومثلهـا لفيـك ولكنى أراك تـجورهـا

وهو يعلن لأبى ذؤيب أنه إن كان يشكو من قريبـه ، فهوالـذى بذر الشر والخيانة وعملها له :-

فإن كنت تشكو من قريب مخانة فتلك الجوازى عقبها ونصورها(١)

• **الأحداث : -**

لم تأت الأحداث مرتبـة فـى القصـة ، ولـم تبـدأ الأحـداث مـن بدايتها ، وإنما بدأت مع تصاعدها وتشابكها ، بدأت الأحداث بخيانـة خالد عهد خاله ، وحبه لأم عمرو ، وشيوع ذلك على ألسنة الناس ، وهذا الحدث يدفـع بـأبى ذؤيـب إلـى عتـاب خـالد ، وإلـى التهديـد بفضيحته ، وإلى سوق القصيدة تلو القصيدة فيه وفيها حتى يصبحـا أضحوكة . وهذا التهديـد مـن أبـى ذؤيـب يحـرك الأحـداث وينميهـا ويصعدها مرة أخرى عند " أم عمرو " التـى خـافت علىنفسـها مـن

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

الفضيحة ، وراحت تستعطف أبا ذؤيب ، وتستميله نحوها ، وكان أن رفض أبو ذؤيب هذا العرض :-

تريدين كيما تجمعيني وخالـدا وهـل يجمع السيفان ويحك في غمد

وتدافعت الأحداث عند خالد ليطلعنا على الأحداث السابقة فخيانة خالد ليست بداية القصة ، وإنما سبقها خيانة أخرى ، وسبقتها أحداث أخرى من أبى ذؤيب :-

تنقذتها من عبد عمرو بن مالك وأنت صفيّ النفس منه وخيرها[1]

ويكشف خالد بهذا عن علاقة أبي ذؤيب القديمة بأم عمرو ، وقد كان رسولاً إليها ، ثم استولى عليها مع صفاء النفس الذى كان بينه وبين رجلها . ومن هنا نكتشف حب أبى ذؤيب لها :-

" أبى القلب إلا أم عمرو " ونكتشف " عيّرها الواشون " ثم الهجر " فلا يهنأ الواشون أنى هجرتها " ثم اعتذاره أنه لايحبها " فإنك منها والتعذر " ثم شكوى القلب من هذا البعد " جمالك أيها القلب الجريح " [2] .

ثم الخيانة مع خالد " خليلى الذى دلّ لغيّ خليلتى " ثم غضب

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

٢- الديوان ، ج ١ ، ص ٦٨ .

أبى ذؤيب لميلها إليه :-

لعلــك إمــا أم عمــرو تبدلـت   سواك خليلاً شاتمى تستحيرهـا [١]

ثم احتدام الموقف بين أبى ذؤيب وخالد :-

فلا تجـز عن من سنة أنت سرتها   وأول راض سُنّــة مـــن يسيــرها

ثم إشعال الموقف من جانب الواشين :-

وقــد أكثــر الواشــون بينى وبينه   كمــا لم يغب عن غىّ ذبيان داحس [٢]

ثم هدوء النفس والصلح :-

فإنى علـى مـاكنت تعهـد بيننــا   وليدين حتى أنـت أشمـط عـانس
لشانئـــه طـول الضراعـة منهـم   وداء قد أعيا بالأطباء ناجس [٣]

ومن هنا نكتشف نمو الأحداث وتطورها فى هذه القصة حتـى تصل بنا إلى النهاية .

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

٢- الديوان ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

٣- الديوان ، ج ١ ، ص ١٦١ ، والضراعة : الصغـارة ، والنجيس : الذى لاشفاء منه .

• **الصياغة :-**

شاعرنا لم يبدأ الأحداث من بدايتها ، وهو حُر فِي ذلك وقد تكشفت لنا الأحداث السابقة على لسان الأبطال بعد ذلك .

وقد عرضها هنا عن طريق الرسائل المتبادلة ، أو الشتائم المتبادلة بين أبى ذؤيب وبين خالد ، لنكتشف من خلال هذه الرسائل بعلاقة أبى ذؤيب القديمة " بأم عمرو " وخيانته لصاحبه الأول .

وكذلك من الرسائل المتبادلة بين أبى ذؤيب و أم عمرو عندما أرسلت تستعطفه ، ورد عليها رافضاً أن تجمع بينه وبين خالد فى غمد واحد .

وقد استعان الشاعر بالتصوير فى مواقف كثيرة تتجلى فى قول خالد :-

وإن كنت تبغى للظلامة مركبا ذلولاً فإنى ليس عندى بعيرها

وتتجلى فى قول أبى ذؤيب :-

تريدين كيما تجمعيني وخالـدا وهل يجمع السيفان ويحك فيغمد

• **البيئـة** : -

البيئة التى عرض لها الشاعر هنا ، هى البيئة الاجتماعية تلك البيئة التى تضج بالغش والخيانة من ناحية ، وتعج بالواشين والحاسدين من ناحية أخرى . وتوقّع الخيانة من ناحية ثالثة .

فمن ناحية الغش والخيانة ، فأبطال القصة يصنعون مايحلو لهم دون وازع من ضمير أو خلق . فعلت هذا أم عمرو ، عندما خانت رجلها الأول – ولعله لم يكن الأول – مع أبى ذؤيب ، ثم تركت أبا ذؤيب إلى خالد ، ثم راحت تستعطف أبا ذؤيب لتجمع بينه وبين خالد ، وفعل هذا أبو ذؤيب وقد كان رسول غرام إليها ثم عشقها ، وفعل ذلك خالد وقد كان رسول خاله إليها ثم عشقها " خليلى الذى دلى لغىّ خليلتى " هذا الغش وتلك الخيانة يعكس بيئة القصة . وبقية الشخوص التى تبدو لنا من بعد : –

وعيرها الواشون أنى أحبها   فلا يهنأ الواشين أنى هجرتها

وأبو ذؤيب يتوقع الخيانة من محبوبته ، فمرة يخاطب محبوبته بقوله :–

فإن تصرمى حبلى وإن تتبدلــى خليلا وإحداكن سوء قُصارها [١]

ومرة أخرى يقول للمحبوبة :-

فإن تصرمى حبلى وإن تتبدلــى خليلا ومنهم صالــح وسميــج [٢]

• **النهاية** : -

هذه قصـــة واقعيـة لأم عمـرو ، وأبـى ذؤيـب ، وغيرهمـا مـن الشخوص التى بدت فى القصة ، تجمعـت خيوطهـا وتشـابكت علـى لسان أبى ذؤيب ، ولسان خالد واشـتعل أوارهـا ، واحتـدم الصـراع فيها ، وهدد أبو ذؤيب وتوعد ورد عليــه خـالد بمـا أفحـه وأسكته . وكما حمل لنا الشعر أحـداث القصـة ونقلهـا إلينـا ، كذلـك حمـل لنـا علاقة أبى ذؤيـب بخـالد بعـد ذلـك ، وإن كـان قـد سـكت عـن " أم عمرو " وحق له أن يكست ، فقد تعرضت سيرة المرأة للهوان .

يحكى لنا ديوان الهذليين بعد الأحداث قولــه : ثـم إن خـالد بـن زهير اشتكى فلم يعده أبو ذؤيب ، فقال أبو ذؤيب فى ذلك :-

ألا ليت شعرى هل تنظــر خـالد عيادى على الهجران أم هو يـائس

١- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ٢٨ .

٢- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ٦٠ .

فلو أنني كنـت السـليم لعدتنـي سريعا ولم تحبسك عني الكـوادس
وقد أكـثر الواشـون بينـي وبينـه كما لم يغب عن غـيّ ذبيـان داحـس
فإنـي على ماكنت تعهد بيننـا وليدين حتى أنت أشمط عانس [٣]

وهى نهاية طبيعية لذلك الصراع الذى دار على هذه المرأة ثم خمد بمرور الأيام ، وحل محله الصفاء والوئام .

٣- الديوان ، ج ١ ، ص ١٦١ .


الحس القصصى
فى شعر
«ساعدة بن جؤية»

قصص ساعدة بن جؤية (١)

القصة الأولى وردت فى قصيدة له ، يتحدث فيها عن رحيل المحبوبة ، وترحّل أهلها . وما أصابه من وجد وشوق لمحب وبته . وقد هيّجه رؤيته للدمن والرسوم ، فأصبح سقيما يحتاج إلى عزاء ومواساة ، وقد اشتد وجده بها .

يقول فى مقدمة القصيدة :-

أهاجك مغنى دمنة ورسوم ... لقيلة منها حادث وقديم
عفا غير إرث من رماد كأنّه ... حمام بألباد القطار جثوم
فإن تك قد شطت وفات مزارها ... فإنّى بها - إلا الغراء - سقيم (٢)

هذه هى مقدمة القصيدة ، أو مقدمة القصة . وقد أتت فى ثلاثة أبيات فرغ بعدها الشاعر لسوق قصته فقال :-

---

١- ترجم له محقق ديوان الهذليين ، فذكر أنه ساعدة بن جؤية أخو بنى كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . ديوان الهذليين ، ج١ ، ص ١٧٦ .
وقد كان أبو ذؤيب الهذلى راوية له " الشعر والشعراء " ج٢ ، ص ٦٥٧ .
٢- ديوان الهذليين ، ج١ ، ص ٢٢٨ .

وما وجدت وجدى بها أمّ واحد ... على النأى شمطاء القذال عقيم
رأته على فوت الشباب وأنها ... تراجع بعلا مرة وتئيم
فشبّ لها مثل السنان مبرّأ ... أشمّ طوال الساعدين جسيم
وألزمها من معشر يبغضونها ... نوافل تأتيها به وغنوم
فأصبح يوما فى ثلاثة فتية ... من الشعث كل خلة ونديم
وقدّم فى عيطاء فى شرفاتها ... نعائم منها قائم وهزيم
بذات شدوق مستقل نعامها ... بأدبارها جنح الظلام رضيم
فلم ينتبه حتى أحاط بظهره ... حساب وسرب كالجراد يسوم
فورّك لينا لايثمثم نصله ... إذا صاب أوساط العظام صميم
ترى أثره فى صفحتيه كأنه ... مدارج شبثان لهن هميم
وصفراء من نبع كأنّ عدادها ... مزعزعة تلقى الثياب حطوم
كحاشية المحذوف زيّن ليطها ... من النبع أزر حاشك وكتوم
وأحصنه ثُجْر الظبات كأنها ... إذا لم يغيبها الجفير حجيم
فألهاهم باثين منهم كلاهما ... به قارب من النجيع دميم
وجاء خليلاه إليها كلاهما ... يفيض دموعا غربهن سجوم
فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به ... فلا ريب أن قد كان ثمّ لحيم
فقامت بسبت يلعج الجلد وقعه ... يقبّض أحشاء الفؤاد أليم
إذا أنزفت من عبرة يمتهم ... تسائلهم عن حبّها وتلوم

فبينا تنوح استبشروها بحبّها | على حين أن كل المرام تروم
فلمّا استفاقت فجّت الناس دونه | وناشت بأطراف الرداء تعوم
وخرّت تليلا لليدين ونعلها | من الضرب قطعاء القبال خذيم
فما راعهم إلا أخوهم كأنّه | بغادة فتخاء الجناح لحوم
يخفّض ريعان السعاة كأنّه | إذا ماتنحّى للنجاء ظليم
نجاء كُدُرٍّ من حمير أبيدة | بفائله والصفحتين كدوم
يُرنّ على قب البطون كأنها | ربابة أيسار بهن وشوم [1]

• **موضوع القصيدة :-**

هذه القصة تصور امرأة ، عاشت في مجتمع ، أو في بيئة تنظر إلى المرأة العقيم على أنها أرض قاحلة جرداء . وقد طال انتظار المرأة للولد فلم يأت .

وطال أملها في الحمل ولم تحمل . وراح القلق يسرى في حناياها ، والشباب يدبر ويتقهقر ، وجذوته تخبو ، والشعر الأبيض يسرى في رأسها سريان النار في الهشيم ، وتئيم ويراجعها البعل وتئيم . وراح الخوف يدبّ في عظامها ، ويسرى بين ضلوعها . والهمس يتمشى حولها . ويتحول الهمس إلى علن . والنظرات إلى

١- ديوان الهذليين ، ج١ ، ص ٢٣٥ .

تساؤلات تدور . والزوج مبغض لها ، نافر منها ، كاره لمعاشرتها والصديقات يقدّمن لها المشورة ، وهى تنفذ كل مشورة بحذافيرها كم استمعت لنصحهن ، وكم بذلت من أجل هذا الولد . ولكنه لم يأت . ومرّت سنوات العمر ، فإذا هى عجوز شمطاء [illegible] زوجها فى استهانة ، ولا يأبه بها أحد . يالها من شجرة عتيقة لاتثمر ، ويالها من أرض قاحلة جرداء لا تنبت .

وهى على هذه الحال ، أحسّته ، شعرت به يسرى فى تلك الأحشاء التى طال انتظارها . شعرت بالحمل . حملت وولدت . رأته على فوت الشباب وأنها ، تراجع بعلاً مرة وتئيم .

وشبّ هذا الولد لها . فتيّا قويّا محارباً جلداً عنيداً ، يُشمّر برجاله إذا مالحرب شبّ سعيرها .

وعاد إلى المرأة زهوها ، واعتدل عودها بعد تقوس ، وصار لها دورها ومكانتها بين قومها . وضحكت لها الأيام . وعاشت سعيدة بهذا الفتى .

فشبّ لها مثل السنان مبرأ أشمّ طوال الساعدين جسيم
وألزمها من معشر يبغضونها نوافل تأتيها به وغنوم

ومرّت الأيام ، والقبيلة تتحدث عن شجاعته وبسالته ونجدته .

إلى أن جاء هذا اليوم . يوم حمل فيه سيفه ورمحه وعدة قتاله ، وسار فى نفر من قومه ووسط هضاب طويلة ، ووسط قلال الجبال وشماريخها ومرتفعاتها أحاط بظهره نفر كثير (حساب وسرب كالجراد يسوم) . هى إذن المواجهة الضارية .

فورّك لينـــا لا يسـ [illegible] نصلـــه إذا صاب أوساط العظام صميم[1]

لقد حمل عليهم بسيفه ، بسيف لاتردّ ضربته وكذلك راح بقوسه وصوتها مثل صوت الرياح الشديدة التى تحطّم مامرّت به . لقد تحصّن بعدده هذه ودافع بها عن نفسه .

وأحصنه ثُجرُ الظّبات كأنهـــا إذا لـم يعيّبها الجفير حجيـــم

وسط هذا الجحيم المستعر ، سقط اثنان من العدو ، والدماء تنزف منهما ، وشغل الباقى بهما ، فاهتبلها فرصة وفر بعيداً عن المواجهة غير المتكافئة بينه وبين هؤلاء .

فألهاهم باثنيـــن منهـــم كلاهما به قارب من النجيع دميـــــم

١- فى اللسان : ورّك الذَنب عليه ، حمله . وقد استشهد بهذا البيت وقال : واستعمله ساعدة فى السيف . ونصل صميم : أى يصمّم فى العظم . وورّك للضرب أى أماله للضّرب حتى ضرب به يعنى السيف (لسان العرب مادة ورك) .

وأما خليلاه فقد فرّا ، فرّا بعد رؤيته وقد أحيط به . ودمعت العيون ، ولم يصدق كل منهما ماحدث . أصحيح أنه قد فقد ؟ ومن منهما يستطيع نقل الخبر إلى أمه ؟ وهل أحد بمستطيع ؟ الخبر جسيم ، والمصاب فادح على وحيد أمه التى رأته على يأس وشماتة عدو ومهانه عشير .

وجاء خليلاه إليها كلاهما يفيض دموعا غر بهن سجوم

فقالوا عهدنا القوم قد حصدوا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم

ويالها من لحظة . قامت فيها الأم :-

قامت بسبت يلعج الجلد وقعه يقبض أحشاء الفؤاد أليم

قامت كما تقوم أى ثكلى فقدت وحيدها ، فعلت كما تفعل ، وكما هى العادة ، عمدت إلى نعل من جلود البقر ، سيور من الجلد ، قامت تلطم جلدها بالنعال لطما يحرق الجلد ، ولطما يقبض أحشاء الفؤاد ، وأى فائدة لبقائها بعد ذهاب ولدها ؟ لقد عز عليها أن تبقى بعد فقد ولدها :-

إذا أنزفت من عبرة يمتهم تسائلهم عن حبّها وتلوم

مع كل عبرة من عبراتها يأتى السؤال لهؤلاء الأصحاب ، ويأتى معه اللوم والتوبيخ والتقريع . كيف سولت لهم أنفسهم

الفرار؟ وهل هم فى حاجة إلى لوم أو تقريع ؟ إن دموعها لهى أقسى من السياط .

وبينما هى على هذه الحالة ، وبعد أن ألهبت نفسها بسياط من نار ، وبعد أن كلّت يدها وأدمت جسمها ، راحت تنوح على ولدها ، راحت تئن وتتوجع .

وبينما هى على هذه الحالة ، وبعد أن فتّ الخور والضعف فى جسمها بشّروها بعودة ولدها سليماً فى صحة وعافية :-

فلمّا استفاقت فجّت الناس دونه وناشـت بأطراف الرداء تعـوم

فرّقت الناس بيدها ، تعوم ، تسبح من على أكتاف الناس ، تطير فى الهواء ثم خرّت صريعة ضعفها ، وقد تحول النعل إلى قطع صغيرة من إثر الضرب والولد يقدم على أمّه ، وسط روع الحاضرين فى صحة وعافية . يطرح الناس خلفه ، ويتقدم نحو هذه الأم الملتاعة .

والبقية معروفة سجلها فى بداية قصته بقوله :-

وما وجدت وجدى بها أم واحد على النأى شمطاء القذال عقيم

وبهذا ينهى الشاعر قصته وقصيدته فى آن واحد .

• **رؤية فنية** :-

ربما كانت هذه القصة أقرب القصص الهذلى إلى الكمال الفنى فى اكتمالها ، وفى نضجها الفنى ، ففبها العقدة ، وفيها الحبكة ، وفيها الشخصيات النامية المتحركة ، وفيها الحل والنهاية .

ونتحدث أولا عن :-

ارتباط القصة بموضوع القصيدة :-

وقد بيّن الشاعر وجه الارتباط بقوله :-

وما وجدت وجدى بها أم واحد على النأى شمطاء القذال عقيم

لقد ساق الشاعر فى بداية قصيدته رحيل المحبوبة ، وكيف بكّر أهلها بالرحيل ، وقد كان هذا دأبهم دائما ، فهم فى ترحال دائم ، وهذا من سوء حظه .

لقد راح يفكر فيها ليله ونهاره ، يرى صورتها أمام عينيه ، ويؤرقه البرق من ناحيتها فيهيجه .

ثم يتذكر الأماكن التى رحلت إليها فى حنين وشوق ووجد لا يعدله وجد ولا وجد تلك المرأة العجوز التى رزقت بولد على كبر ، ثم أخبرت بفقده ، ثم تبين كذب الخبر وعودة ولدها فى صحة

وعافية .

وهكذا نرى ارتباط القصة بمقدمة القصيدة وعدم انفصالها عنها .

• **الشخصيات في القصة :-**

– الشخصية الاولى في القصة هي شخصية الأم . وقد جاءت في القصة بأبعادها مبسوطة ، مرسومة واضحة .

فالبعد الجسمي لها أنها : " شمطاء القذال " عجوز قد شاب شعرها . وأدبر شبابها وغارت عينها ، وانطفأ بريقها .

وأما البعد الاجتماعي : – في بيئة تعتمد على الولد ، رأس مال المرأة وعزّها وجاهها وسيادتها – فهو أنها لم تنجب ، عقيم ، تراجع بعلا مرة وتئيم . وقد راح زوجها يعيّرها بذلك . وراحت النسوة الأخريات ينظرن إليها باستهانة " ألزمها من معشر يبغضونها " .

وأما البعد النفسي : وهو جماع ونتاج البعدين السابقين ، فقد أصابها اليأس نتيجة لعدم الإنجاب ، والفرحة الطاغية عندما رزقت بولد ، وقد صار زينها ونصيرها . ولطمها نفسها بنعل من الجلد حزنا على فقده .

كل هذا البعد النفسى ناتج عن البعد الجسمى والبعد الاجتماعى .

وأما شخصية الولد ، فهو مثل السنان مبرأ ، أشم طوال الساعدين ، جسيم . هذا هو البعد الجسمى ، وهو عطوف على أمه حدب عليها ، وهو بعد نفسى .

• **البيئة** :-

لقد صور الشاعر بيئة القصة أصدق تصوير . فهى بيئة جاهلية ، قوامها الولد . والمرأة إن لم تنجب فقدت قيمتها ، ولاقت من الهوان ما لاقت ، حتى من أقرب الناس إليها ، وأصبحت ولا قيمة لها . يلخص ذلك كله فى قوله " وألزمها من معشر يبغضونها " ومن ذا الذى يأبه بشجرة جافة خاوية ، بل الشجرة الخاوية تنفع لإنضاج الطعام . وهذا هو الجو العام فى القصة . ثم تغيّر الجو العام بعد أن رزقها الله بالولد .

لقد تبدّلت الإهانات إلى نوافل وغنوم ، واعتدل العود بعد ذبول . يعكس ذلك قول الشاعر " فشَبّ لها " وألزمها من معشر يبغضونها " كأنه ما كبر إلا لها . لإسعادها ، لعزّها . هذا هو الجو العام بعد أن رزقت تلك المرأة بهذا الولد .

وقد ساق البيئة بما فيها من عادات كانت موجودة ، ومنها اللطم بالنعل أو بسير فى الجلد " فقامت بسبت يلعج الجلد وقعه " .

• **والبيئة المكانية :-**

تلك التى دارت المعركة فيها " عيطاء فى شرفاتها نعائم منها قائم وهزيم " هضاب طويلة ، وفيها نعائم – والنعائم جمع واحدته نعامة تبنى ويطرح عليها شئ من ثمام يستظل بها [1] – هذه النعائم منها القائم ، ومنها [illegible] " بذات شدوف مستقل نعامها " شماريخ فى رءوس الجبال ، شخوص بارزة ، قلل للجبال عاليه . وسط هذه البيئة المكانية المخيفة دارت المعركة وكان الحصاد .

والزمان الذى دارت فيه المعركة هو " جنح الظلام " .

• **الأحداث :-**

تبدأ القصة بوصف عام لتلك المرأة ، وعدم إنجابها ، وموقف الناس منها مابين شامت وما بين مهين لها . إلى أن يقع الحدث الكبير فى حياتها ، بعد أن كبرت وسيطر عليها اليأس ، فقد حملت وولدت . وهذا هو الحدث الذى حرّك الشخوص فى كل اتجاه ، وغيرّ مجرى الأحداث ، فإذا بالمرأة فى عز بعد ذل ، وإذا بزوجها

١– الديوان ، ج١ ، ص ٢٢٩ .

يغيرّ من معاملتها ، وإذا بيتها يُقصد لهذا البطل للغارات وغيرها .

ثم يأتى حدث آخر يضع هذه الشخصية ، وهذا المجتمع ، وتلك البيئة فى محك أخلاقى آخر ، يأتى خبر موت هذا الشاب الفتىّ القوى .

وهنا تلمحها هى ، هى بمفردها " فقامت " فقامت بسبت .. ثم يأتى الحدث الأخير بالحلّ والنهاية معا " استبشروها بحبّها صحيحا"

• **الصياغة** :-

الطرق المستخدمة فى القصة هى سرد الأحداث بطريقة مباشرة ، يتحدث فيها الشاعر واصفاً الأحداث ، متناولاً الشخصيات مخبرا عنها ، محلّلاً لها .

وقد استعان الشاعر فى تصويره لتلك الأحداث بالألفاظ الموحية ، والصور المعبرة ، من مثل قوله : " شمطاء القذال " " عقيم " و " فوت الشباب " و " مثل السنان " . وتأتى الصور متلاحقة فى قوله " تراجع بعلاً مرة وتئيم " .

فحياتها متأرجحة لا تهدأ إلا ويعكرها عدم الإنجاب . وفى قوله " فشبّ لها " تصوير لهذا الولد ، وأنه ماشبّ وما كبر إلا لإسعادها ، شُبّ ليدافع عنها وينير حياتها ويرفع رأسها .

والتعبير بقوله : " ألزمها من معشر يبغضونها ، نوافل تأتيهابه وغنوم " يوحى بمدى قوّته ، وقهره للأعداء ، فتحولوا من مبغضين إلى مؤدين فروض الولاء لهذه الأم المسكينة .

وتصوير حال الأم بقوله : –

إذا أنزفت من عبـرة يمتهـم تسائلهم عن حبّها وتلوم

وتصويره لفرحتها بعد سماع خبر عودته :–

فلما استفاقت فجّت الناس دونه وناشت بأطراف الرداء تعوم

ونلاحظ التركيز فى الألفاظ . فمثلاً : " رأته على فوت الشباب " هذه العبارة وتستطيع أن تسوق تحتها قصة طويلة من الانتظار ، ونصائح الصديقات ، وتجارب مريرة ، تفشل واحدة تلو الأخرى ، والشعرات البيضاء تتناثر فى قذالها ، وبريق العين يخبو والظهر يتقوس ، وأخيراً رأته .

فلغة السرد هنا مركزة جداً .

• **النهاية** : -

النهاية هنا فى هذه القصة جاءت بغير الموت . جاءت بنهاية سعيدة ، جاءت بالنجاة ، مع أن الموضوع فى هجر المحبوبة .

وساعدة بن جؤية له قصيدة أخرى [1] فيهجر المحبوبة له وجاءت النهاية بالموت . فما الفرق بين الموضوعين ؟ وما سر اختلاف النهايتين ؟

هجر المحبوبة فى القصيدة التى جاءت نهايتها بالموت ، هجر غلّفه اليأس ولفّه انقطاع الأمل :-

فاليوم إما تمس فات مزارها   منا وتصبح ليس فيها مأرب [2]

وقد انعكس اليأس على النهاية فكان الموت ، وأما فى هذه القصيدة التى معنا فالأمل موجود ، والحبيبة وإن كانت ترتحل كثيراً ، فإن البرق من ناحيتها يزوره ويؤرقه ، والأمل موجود فى لقائها . ومن هنا فقد جاءت النهاية – على ماشابها طوال القصة من ألم – جاءت مشرقة سعيدة .

• مقدمة القصيدة :-

لقد أورد ساعدة بن جؤية فى هذه القصيدة ثلاثة أبيات ، ثم ساق قصته بعد ذلك فى خمسة وعشرين من الأبيات . والباحث لابد

١- مطلع هذه القصيدة :

هجرت غضوب وحب من يتحبب   وعدت عواد دون وليك تشعب

٢- الديوان ، ج١ ، ص ١٨٣ .

وأن يسأل نفسه عن هذه المقدمة ، ماهو دورها فى القصيدة ؟.

الموضوع فى هجر المحبوبة ، وفى وجد الشاعر بها . فهل فرغ الشاعر بتلك الأبيات البسيطة من عاطفته ، ثم بدأ فى سرد قصته على سبيل التسلية ؟ هذا ليس بمعقول ولا بمقبول ، أن يفرغ الشاعر عاطفته وإحساسه فى ثلاثة أبيات ، ثم يعمد إلى التسلية فى خمسة وعشرين بيتاً بعد ذلك . أما المعقول والمقبول فهو أن القصة هى القصيدة ، هى ماأراد أن يقوله الشاعر ، هى عاطفته وفكرته .

ويظل السؤال قائما : فما دور المقدمة ؟ ونقول إن المقدمة بأبياتها تُعَدُ تمهيدا للقصة فهو يقول لسامعيه :

سأحدثكم عن تلك المرأة التى أحببتها ، وتعلق قلبى بها ، ورغم البعد عنها فأنا كلف بها ، ووجدى بها يشتعل أواره يوما بعد يوم كتلك المرأة التى فقدت ولدها ووحيدها .. إلى آخره .

- **صياغة جديدة للقصة :-**

موضوع القصة سهل [1] وتكمن الصعوبة فى خلق

١- لو كانت القصة تقاس بحبكتها وموضوعها لكانت الحوادث التى تسردها الصحف كل يوم متفننّة فى عرضها قصصا فنيّة ، ولكنها بعيدة عن ذلك) القصة من خلال تجاربى الذاتية . عبد الحميد جودة السحار ، ص٨١ .

الشخصيات وتحريكها وصياغة القصة . والصياغة شعرا تضفى صعوبة أخرى لما فى الشعر من قيود النظم والبحر والقافية والتركيز فى الألفاظ وغير ذلك كثير .

ومع هذا فقد صاغ ساعدة بن جؤية تلك القصة السابقة صياغة جديدة بقافية جديدة ، وألفاظ جديدة مغايرة لقافية القصة الأولى ، وألفاظ ومغايرة لها كذلك وإن جاءت بعض شطرات الأبيات بنصها.

من مثل قوله فى القصة التى معنا :-

فشب لها مثل السنان مبرأ   أشمّ طوال الساعدين جسيم

وقوله فى القصة الثانية :

فشب لها مثل السنان مبرأ   إمام لنادى دارها وأميرها

وقوله فى القصة التى معنا :-

فورّك لينا لا يثمثم نصله   إذا صاب أوساط العظام صميم

وقوله فى القصة الثانية : -

فورّك لينا أخلص القين أثره   وحاشكة يحصى الشمال نذيرها

يقول ساعدة بن جؤية فى هذه القصة الثانية ، والتى بدأها

بمقدمة تشبه تماماً مقدمة هذه القصة :-

أهاجك من عير الحبيب بكورها أجدّت بليل لم يعرّج أميرها
تحمّلن من ذات السّليم كأنها سفائن يَمّ تنتحيها دبورها [١]

إلى أن يصل إلى بداية قصته ، والتى تتشابه مع القصة الأولى والتى يقول فيها :-

وتاالله ماإن شهلة أم واحد بأوجد منى أن يهان صغيرها
رأته على يأس وقد شاب رأسها وحين تصدى للهوان عشيرها
فشب لها مثل السنان مبرأ إمام لنادى دارها وأميرها
عناش عدو لايزال مشمراً برجل إذا ما الحرب شب سعيرها
تقدم يوما فى ثلاثة فتية بجرداء نصب للغوازى ثغورها
فبينا هم يتّابعون لينتهوا بقذف نياف مستقل صخورها
رأوا من قدى الكفيّن قدام عدوة محيطاً به من كل أوب حضورها
فورّك لينا أخلص القين أثره وحاشكة يحصى الشمال نذيرها
يزحزحهم عنه بنبل سنينة يضرّ بحبّات القلوب حشورها
فلمّا رأوهم يركبون صدورهم كبدنِ إياد يوم ثُجُت نحورها
تملّز من تحت الظبات كأنه رداة إذا تعلوا الخبار ندورها

١- الديوان ، ج٢ ، ص٢١١ .

بساقٍ إذا أولى العَـدِيّ تبـدّدوا يخفّـض ريعان السعاة غويرهـا
وجاء خليـلاه إليهـا كلاهمـا يُفيض دموعا لا يريث همورها
ينيـلان بالله المجيـد لقـد ثـوى لدى حيث لاقى زينها ونصيرها
فقامت بسبت يلعج الجلد مارن وعـزّ عليهـا هلكـه وغبورهـا
فبينا تنـوح استبشـروها بحبّهـا صحيحا وقد فتّ العظام فتورها
فخرّت وألقت كل نعل شراذماً يلوح بضاحى الجلد منها حدورها

- **رؤية فنية** :-

الموضوع في هذه القصة هو الموضـوع السابق . والأحداث هي الأحداث ، والشخوص هم الشخوص ، وإن اختلفت الصياغة ، وإن اختلفت الصور . فمثلاً شخصية الأم قد أخذت بعداً اجتماعياً أكبر في القصة الأولى .

ومع ذلك فقد جاء الشاعر بصورة لطيفة عندما قال : " حين تصدى للهوان عشيرها " . فهي تشعرنا بأن الزوج قد جعل شغله الشاغل ، وحرصه وديدنه إهانة هذه المرأة " تصدى للهوان عشيرها " فالعبارة تحمل في طياتها كل أساليب الهوان . النظرات الجارحة ، والأساليب الخارجة ، والتصرفات غير اللائقة .

لقد صورت في القصة الأولى بأنها شمطاء القذال ، وهي

عقيم ، وهى تراجع بعلا مرة وتئيم . بعكس القصة الثانية . فهى شهلة ، وقد شاب رأسها والتعبيرات فى القصة الثانية عن شجاعة الولد بأنه " عناش عدو " فهو معانق للأعداء ، كناية عن مداومة الحرب لهم . التعبير بذلك أضاف جديدا عن القصة الثانية بأنه " إمام لنادى دارها وأميرها " أضاف لشخصية الابن بعداً جديداً .

وصورة الأم عندما بشروها بابنها قد بسطت فى القصة الأولى عن الثانية .

ومن خلال هذه الموازنة بين القصتين نرى أن واحدة رَبَتَ وزادت على أختها بأحد عشر بيتاً . مما أعطى الشاعر فرصة التصوير للمواقف ، والرسم للشخصيات ، مما يجعلنا نقول إن الشاعر قد قال القصيدة الثانية فى بداية الأمر ، ثُمَّ نقَّحها وجَوّدها وأضاف إليها مرّة أخرى وغيّر فى معالمها حتى خرجت بهذه الصورة الجديدة .

- **وتبقى كلمة :-**

هذه القصة فى مجملها تصور المرأة فى الحياة الجاهلية ، ونظرة المجتمع إليها عندما لاتنجب . لقد ثارت المرأة قديما على هذا الوضع الاجتماعى ، عندم أنجبت جارية ولم تلد غلاماً فهجرها

زوجها وهجر منزلها ، وصار يأوى إلى غير بيتها . فمرّ بخبائها بعد حول ، وإذا هى ترقّص بنيتها منه وتقول : -

مـا لأبــى حمــزة لا يأتينــا   يظل فـى البيـت الـذى يلينـا

غضبــان أن لا نلــد البنينـا   تاالله ماذلــك فى أيدينــا

وإنمـا نأخــذ مـا أعطينــا

فلما سمع الأبيات مر الشيخ نحوهمـا حتـى ولـج عليهـا الخبـاء فقبّلها وقبّل بنيّتها وقال : ظلمتكما ورب الكعبة (١) .

فهل كان ساعدة بن جؤية يعالج وضعاً اجتماعيا فى تلك الفترة المبكرة ؟

هل كان يبرزه ويجسّده للنـاس ليتّضـح مـدى الظلـم الصـارخ الذى يقع على كاهل المرأة التى لاتنجب ؟

هل نتزيّد ، ونُحَمّل النـصّ مـالا يطيـق ، ونقـول : إنهـا قصـة اجتماعيـة ، راحـت تعـالج مبكـرا صـورة المـرأة التـى لا تنجـب ، ومـدى معاناتهـا ، وموقـف المجتمـع منهـا حتـى نتعـاطف مـع هــذه الإنسانة ؟ أميل إلـى إثبـات ذلـك ، ولـو اتّهمتُ بـالتزيّد والمبالغـة ، وإنطاق القصّة بما ليس فيها .

١- البيان والتبيين : ج٣ ، ص٥٨١ ، ط بيروت .

فأنا لا أرى فى إلحاح الشاعر على هذه الصورة وسوقها فى قصيدتين مختلفتين سوى ذلك الدافع الاجتماعى .

• بين ساعدة بن جؤية وأبى ذؤيب الهذلى :-

وقد عمد أبو ذؤيب الهذلى ، وقد كان راوية لساعدة بن جؤية إلى القصة نفسها ، فصاغها فى قصيدة جديدة ، مشبها وجده بمحبوبته بوجد تلك الأم التى فقدت ولدها . وقد بدأها بمقدمة غزلية قال فيها :-

تؤمل أن تلاقى أم وهب بمخلفة إذا اجتمعت ثقيف
إذا بنى القباب إلى عكاظ وقام البيع واجتمع الألوف
تواعدنا عكاظ لننزلنه ولم تعلم إذا أنّى خليف
فسوف تقول إن هى لم تجدنى أخان العهد أم أثم الحليف [١]

وواضح من هذه المقدمة أنه غير حريص على دوام هذه العلاقة ، غير متشبث بها ، قَالٍ لها ، مُخْلف لمواعيدها . فقد واعدته " أم وهب " بأن يلقاها فى عكاظ حيث يجتمع الناس لشئونهم الكثيرة ، ولم تعلم أم وهب أنه سيخلف وعده ، وسيتخلف عن ميعاده . ولعلها عند ذلك تتحير متسائلة عن سبب تخلفه " أخان

١- الديوان ، ج١ ، ص ٩٨ .

العهد أم أثم الحليف " لقد عاهدها وأقسم لها . فما الذى جعله يتخلف عن موعده؟

ثم يبدأ أبو ذؤيب فى سوق قصته التى تشبه إلى حد كبير قصة ساعدة بن جؤية فيقول :-

وما إن وجد معولة رقوب	بواحدة إذا يغزو تضيف
تنفّض مهده وتذبّ عنه	وما تغنى التمائم والعكوف
تقول له كفيتك كل شئ	أهمّك ما تخطتنى الحتوف
أتيح له من الفتيان خرق	أخو ثقةٍ وخرّيقٌ خَسُوف
فبينا يمشيان جرت عقاب	من العقبان خائتة دفوف
فقال له وقد أوحت إليه	ألا لله أمّك ماتعيف
بأرض لا أنيس بها يباب	وأملـه مدافعها خليف
فقال له : أرى طيرا ثقالا	تبشّر بالغنيمة أو تخيف
فألقى القوم قد شربوا وضمّوا	أمام الماء ، منطقهم نسيف
فلم ير غير عادية لزاما	كما يتهدم الحوض اللقيف
فراغ وزودوه ذات فرغ	لها نفذ كما قُدّ الحشيف
وغادر فى رئيس القوم أخرى	مشلشلة كما قد النصيف
فلما خرّ عند الحوض طافوا	به وأبانه منهم عريف

فقال : أما خشيت وللمنايا مصارع أن تخرقك السيوف
فقال : لقد خشيت وأنبأتنى به العقبان لو أنى أعيف
وقال بعهده فى القوم : إنى شفيت النفس لو يشفى اللهيف[1]

وقد علق الدكتور / حسين نصار على القصيدتين بقوله : (ولجأ أبو ذؤيب وساعدة إلى قصة واحدة أتيا بها لوصف مايشعران به من حزن . ولكنه ليس حزناً على ميت ،وإنما على حبيب مفارق.

وقد اتفقا فى الخطوط الكبيرة للقصة ، واختلفا فى بعض التفاصيل وفى النهاية .

ونستطيع أن نجملها فى امرأة شابت وأوغل زوجها فى العمر ، وفى هذه السن أنجبت ابنا أحاطته بكل مظاهر الحب والرعاية ، حتى شبّ جميلاً قوياً مبرأ من كل عيب . وخرج ذات يوم للغزو مع رفقة له ، فإذا بأعدائه يحيطون به من كل جانب ، فراماهم بالنبل ، ثم طاعنهم بالرمح ، ثم ضاربهم بالسيف ، وأخيرا طُعِن - عند أبى ذؤيب - فهجم على رئيس القوم وطعنه ، سقط الاثنان صريعين .

١- الديوان ، ج١ ، ص٩٩ .

أما ساعدة فأنقذ بطل قصته عدْواً على رجليه ، فأعاد الحياة والفرحة إلى أمه التى كادت تموت أسى عندما أبلغها رفاقه بموته المظنون (١) .

وليست هذه هى أوجه التلاقى والاختلاف بين القصتين فقط . بل ليست هذه الخطوط الكبيرة بين القصتين موضع اتفاق .

فقصة أبى ذؤيب قد بدأت بنهاية الأحداث ، ثم عاد إلى سرد قصته مسلسلا تطور الحوادث التى أدّت إلى تلك النهاية (٢) ، ولقد بدأ أبو ذؤيب قصته بالأم وهى مُعْوِلةٌ على ولدها الذى مات :-

وما إن وجد معـولـة رقـوب   بواحدها إذا يغـزو تضيـف

ثم بدأ بعد هذه النهاية بذكر الأحداث التى أدت إلى النهاية بقوله :-

تنفّـض مهـده وتذ بّ عنـه   وما تغنى التمائـم والعكـوف

فالبداية عند أبى ذؤيب مختلفة عن البداية عند ساعدة بن جؤية

١- آراء حول قديم الشعر وجديده . كتاب العربى ، الكتاب الثالث عشر ١٥اكتوبر ١٩٨٦م ، ص٣٨ .

٢- وهذه طريقة من طرق عرض القصة . وتسمى هذه الطريقة بالانجليزية (فلاش باك – flash Bak) القصة والرواية . د/ عزيزة مريدن ، ص٤١.

وليست البداية وفقط ، ولكنّ ساعدة قد اهتمّ بقضية الأم التى لا تنجب ، وأبرز ماتعانيه وما تلاقيه من هذا المجتمع ، وبسط شخصيتها تبعا لذلك . فهى مرّة : شاب رأسها ، ومرة : شمطاء القذال ، ومرة : عقيم . وهى تراجع بعلا مرة وتئيم . وهى من معشر يبغضونها .

وهى تصد وان عشيرها . وقد رأته على فوت الشباب . وقد رأته على يأس . هذا الفصل من القصة – قبل أن يأتى الولد – لا وجود له فى قصه أبى ذؤيب . وهو موجود ومفصّل ومبسوط فى قصة ساعدة بن جؤية .

ويقابله فى قصة أبى ذؤيب إشارة أبى ذؤيب الخاطفة إلى تلك العادة التى كانت موجودة وهى العيافة وزجر الطير . فقد أشار إليها فى لمحة خاطفة عندما قال :–

فبينا يمشيان جرت عقاب من العقبان خائتته دفوف
فقال له وقد أوحت إليه ألا لله أمّك ما تعيف
بأرض لا أنيس بها يباب وأمسلة مدافعها خليف
فقال له : أرى طيراً ثقالاً تبشر بالغنيمة أو تخيف

ولم يتعرض ساعدة فى قصته لتلك العادة .

والولد فى قصة ساعدة هو الحامى ، هو العنصر الفاعل ، هو المؤثر والمدافع لها . فهو " شَبَّ لها " يحميها ويدافع عنها . وهو ألزمها من معشر يبغضونها نوافل تأتيها به وغنوم " وهو " إمام لنادى دارها وأما عند أبى ذؤيب ، فالأم هى العنصر الفاعل والمؤثر :-

تُنفَض مهده ، وتذبّ عنه ، تقول له كفيتك كل شئ أهمك ما تخطتنى الحتوف ، مابقيت على قيد الحياة كفيتك كل شئ .

وقد اختلف العنصر الفاعل هنا بين القصتين لاختلاف الدافع .

فالمرأة المحبة عند ساعدة بن جؤية مرغوبة ومأمولة . ولذلك جاء الذَكَرُ حامياً ومدافعاً ومنقذاً لها من إهانات القبيلة ، ومخلّصا لها .

أما المرأة عند أبى ذؤيب فهى التى ستذهب إلى عكاظ ، إلى الموعد ، وأبو ذؤيب سيخلف موعده ، ولن يذهب إلى هناك " ولم تعلم إذا أنّى خليف " ولذلك فهى تقدّم وتعطى ، والذكر يخلف ويهرب .

وجاءت القصة على هذا النمط " هى ستذبّ عنه وهى ستكفيه كل شئ . ومع ذلك لا غرابة أبداً ، لا غرابة أن يخذلها الذكر ،

وأن يموت فى نهاية القصة ، أو من بدايتها ليفجعها فى ولدها ، كما فجعت محبوبة أبى ذؤيب فى محبوبها ، ولا غرابة أن يحافظ ساعدة عن حبه وأن يبقى على الولد لأمه .

واختلاف نهاية القصائد تبعا لاختلاف موضوعها ، يرد على كثير من الباحثين الذين قالوا إن نهاية القصة واحدة . مكرورة ومعادة [١] .

١- القصة الشعرية . د/ عزيزة مريدن ، ص ٣٢ .

القصة الثانية

﴿ نهـــاية العمــر ﴾

• **تقديم** :-

هذه قصة أخرى لساعدة بن جؤية ، تحدث فيها عن مرحلة من أخطر مراحل عمر الإنسان ، وهى مرحلة الشيب والهرم .

وقد مهّد لقصته ، أو على الأصح مهّد لقصصه الذى أورده فى تلك القصيدة عن الشيب والهرم بمقدمة فى سبعة أبيات ، صوّر فيها حاله مع الهرم وجفاف أيّامه وما يعانيه فقال :-

ياليت شعرى ألا منجى من الهرم ... أم هل على العيش بعد الشيب من ندم

والشيب داء نجيس لادواء له ... للمرء كان صحيحا صائب القحم

وسنان ليس بقاض نومة أبداً ... لولا غداة يسير الناس لم يقم

فى منكبيه وفى الأصلاب واهنة ... وفى مفاصله غمز من العسم

إن تأته فى نهار الصيف لاتره ... إلا يجمّع مايصلى من الحجم

حتى يقال وراء البيت منتبذا ... قم لا أبالك سار الناس فاحتزم

فقام ترعد كفاه بمحجنه ... قد عاد رهبا رذيا طائش القدم

هكذا يتحدث ساعدة بن جؤية عن فترة الضعف والوهن فى عمر الإنسان ويصور مايعانيه من سقم وألم وضعف فى الحركة ، ووهن فى المناكب والمفاصل ، وما شابه ذلك . ثم بدأ فى سرد قصته ، فساق ثلاثة نماذج ، الأول منها يصور حياة وعل من الوعول :-

(أ) قصة الوعل

تالله يبقى على الأيام ذو حيد أدفى صلود من الأوعال ذو خدم
يأوى إلى مشمخرّات مصعدة شُمٌّ بهن فروع القان والنشم
من فوقه شعف قرّ وأسفله جيّ تنطق بالظيّان والعتم
موكّل بشدوف الصوم ينظرها من المغارب مخطوف الحشازرم
حتى أتيح له رام بمجدلة جشء وبيض نواحيهن كالسجم
فظل يرقبه حتى إذا دمست ذات العشاء بأسداف من الغسم
ثم ينوش إذا آد النهار له بعد الترقب من نيم ومن كتم
دلّى يديه له سيراً فألزمه نفاحة غير أنباء ولا شرم
فراغ منه بجنب الريد ثم كبا على نضيّ خلال الصدر منحطم[1]

١- الديوان ، ج١ ، ص ١٩١ .

هذه قصة من ثلاث قصص ساقها ساعدة فــى قصيدتـه ليرسم بها صورة الشيب والهرم .

وتبدأ القصة بمطلعها المعهود عند الهذليين " تالله يبقى على الأيام " أى لا يبقى على الأيام . وبطل هذه القصة " ذو حيد [1] أدفى صلود من الأوعال ذو خدم " . بطلها إذن وعل من الوعول ، قرونه ملتوية ، قد أحدودبت ومالت على ظهره . يعيش وحيداً منفرداً ، فى يديه بياض . يعيش فى المرتفعات العالية ، وسط تلك الأشجار التى يتخذ منها القسىّ .

وهو فى هذه المرتفعات يحس بالبرودة الشديدة من فوقه ، ومن تحته مناقع الماء ، وأشجار الزيتون البرّى وغير ذلك .

وهو فزع خائف يرقب فروع الأشجار يحسبها صائداً ، وهو طائر اللب مشعوف الفؤاد .

١- ذو حيد : ذو التواء . أدفى : الذى فى قرنه دفى وهو الحدب . صلود : يصلد برجله ، يضرب على الصخرة فيسمع لها صوت . وقد فسّرت فى اللسان بمعنى المنفرد ، وهو الأليق بالسياق هنا . ذو خدم : ماابيضت أوظفته .

موكل بشدوف الصـوم ينظرها من المغارب مخطوف الحشـازرم[١]

لقد ظل على هذه الحال فى أعالى الجبال ، حتى أتيح له صائد بنصاله وسهامه .

ظل هذا الصائد يرقبه ، حتى إذا كانت سدفة الليل ، وأرخى الليل سدوله رماه من فوقه فأصابه . ونفذ السهم حتى خرج من جنبه ، ونضخ الدم ، وراغ الوعل بسهمه ودمه إلى حرف الجبل ، ثم كبا وقد دخل السهم بين الضلوع .

- **رؤية فنية :-**

علاقة القصة بموضوع القصيدة :

موضوع القصيدة كما عرفنا من المقدمة ، يرسم صورة للشيب والهرم وقد صاحبهما الوهن والضعف . وقد جاءت القصة لتؤكد ارتباطها بالموضوع . فالمقدمة كما قلنا ماهى إلا عنوان للقصة . كأنه يقول : سأحكى لكم قصة عن الشيب والهرم ، وما يصاحبهما من ضعف ، ثم يسرد قصته .

وقد اختار بطل قصته وعلا من الوعول ، تحنىَ قرناه على

١- السدوف : الشخوص . الصوم : شجر . المغارب : كل مكان يتوارى فيه

زرم : قطع .

ظهره وقد أحدودبت ومالت ، يعيش منفرداً " صلودا " [١] . أوظفته بيضاء ، ذو خدم هذه الصفات لم تذكر عبثا ، وإنما ساق الوعل بهذه القرون التى طالت وأفرده فى أعالى الجبال ، وقد ابيضت أوظفته بما يرمز أو يشير إلى الشيب ، وقد عبّر عنه فى المقدمة ، وصوّر بغضه له بقوله :-

والشيب داء نجيس لادواء لــه   للمرء كان صحيحاً صائب القحم[٢]

أعتقد أن هذه هى صورة الشيب والهرم فى القصة . ومع انفراده ، فهو يأوى إلى أماكن مرتفعة ، موغلة فى الارتفاع ، فهى مشمخرّات مصعدات شُمٌّ بها أشجار عالية . من فوقه رءوس الجبال بما تحمله من برد شديد ، وأسفله جفار المياه ، وأشجار الزيتون ، ومايشبه النسرين .

هو فى هذا المكان حيث البرد الشديد ، والأشجار العالية ،

١- وقد فسّر شارح الديوان " صلود " بمعنى يصلد برجله ، أى يضرب بها على الصخرة فيسمع لها صوت . وعلّق محقق الديوان على هذا بقوله : فُسِّر فى اللسان " الصلود " بأنه المنفرد . وأنشد هذا البيت ، ولم يذكر الصلود بالمعنى الذى ذكره الشارح هنا . الديوان ، ج١ ، ص ١٩٣ . وأقول إن سياق القصة يؤكد صحة ماذهب إليه المحقق .

٢- الديوان ، ج١ ، ص١٩١ .

غير مطمئن .

إنه يسيطر عليه الخوف ، ينظر إلى أعلى فلا يرى سوى رؤوس الجبال وينظر إلى أسفل فلا يرى إلا بقايا الماء فى الأجفار وأين هو ؟ فى أعلى ؟ فى أسفل ؟ إن الشاعر قد قصد تصويره على هامش الحياة . على هامش الجبل . إنه الشيخ الهرم الخائف المترقب ، مخطوف الحشا .

وظل كذلك حتى أتيح له قدره . أتيح له رام بمجدلة فأعطاه سهما أطبقت عليه الضلوع .

والقصة كما نرى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوع القصيدة ، وهو الشيب والهرم والضعف الذى يوصل إلى الموت .

• **الشخصيات فى القصة :-**

وهل فى القصة شخصيات غير هذه الشخصية الواهنة الضعيفة المنتظرة للموت . وقد أجاد ساعدة بن جؤية فى رسم أبعاد تلك الشخصية ، وتصويرها . فقد تناول البعد الجسمى لهذا الوعل بما يعكس دوره فى القصة ، ويخدم القصة وينميها ويثريها . فهو وعل قد بلغ من الكبر عتيا . قرونه ملتوية طويلة ، أوظفته بيضاء هجر الدنيا وعاش وحيداً فى الحياة ، أقصد على هامش الحياة

يعيش فى شاهق الجبال بين برودة فى أعاليه ، وماء الأجراف فى أسفله والبعد النفسى ناتج عن هذا البعد الجسمى . فهو يعيش منعزلا خائفاً منكمشا ، يرقب فروع الأشجار يحسبها صائداً . لايتحرك إلا إذا مال النهار للزوال . ينوش بعض الأشجار ، ويتناول أوراقها .

أما الشخصية الثانية وهى شخصية الصائد ، فهى شخصية غائمة ، ليس فيها من وصف سوى أنه رامٍ يحمل فى يده أدوات الرمى من سهام وغير ذلك .

• **البيئة** :-

البيئة هنا تلك التى عاش فيها هذا الوعل ، هى الجبال الموغلة فى الارتفاع . وقد اختار مكانا تحت رءوس الجبال ، فكانت البرودة الشديدة من ناحية ، والأشجار التى لاتنبت إلا فى هذا المكان المرتفع (القان والنشم) (الصوم) وهى أشجار على شكل شخوص قائمة ، كريهة المنظر ، يقال لثمره رءوس الشياطين ، وليس له ورق ، وللصوم هدب ولا تنتشر أفنانه ، ينبت نبات الأثل ولا يطول طوله .

هذا بالنسبة للبيئة المكانية ، وهى بيئة فيها النبات الخالى من الورق وفيها رءوس الجبال الشاهقة ، وفيها القرّ والبرد الشديد .

وهى بيئة تساهم فى رسم جو القصة للشيب والهرم .

والبيئة الزمانية وقد تمثلت فى الوقت الذى اختاره الصائد :-

فظل يرقبــه حتــى إذا دمسـت ذات العشاء بأسداف من الغسم

فالبيئة الزمانية هنا مظلمة . دمست ، العشاء ، أسداف ، العسم (١) .

وحتى عندما ذكر النهار ، ذكره وقد آد ، وقد مال للزوال .

وهكذا نرى البيئة وقد خطط لها الشاعر لتخدم الجو العام فى القصة .

• الأحداث :-

القصة تحكى الشيب والهرم . وهما نهاية الأحداث لابدايتها . ولذلك لانجد أحداثا فى القصة سوى حدث واحد . ونرى حركات بسيطة ضعيفة ، تلوح فى ضعف وتخاذل . فهذا الوعل (يأوى) وهى حركة خمول يأوى إلى مشمخرات . وهو (موكّل) بشدوف الصوم ينظرها . وهو (ينوش إذا آد النهار له) بعد الترقب من

١- دمست : التبست بالظلمة . أسداف جمع سدف وهى الظلمة . العسم اختلاط الظلمة وهو غبس الليل وسواده .

نيم ومن كتم .

والحركة الأخيرة كانت عند موته (فراغ منه بجنب الريد ثم كبا) وهكذا حركات بسيطة ضعيفة واهنة .

وحتى حركة الصائد (فظلّ يرقبه) وليس هناك من حدث يحرك الشخوص ويدفع القصة إلى نهايتها سوى، تحرك الصائد (دلى يديه له سيرا فألزمه نفّاحةً) هذا هو الحدث الوحيد الذى يحرك الأحداث إلى نهايتها .

• **الصياغة والأسلوب :-**

لقد صيغت القصة كلّها بطريقة واحدة من بدايتها إلى نهايتها ، وهى طريقة السرد القصصى المباشر . واستخدم الشاعر الوصف فى قصته . وصف هذا الوعل والمكان الذى يعيش فيه ، وطريقة تحركه وتناوله لطعامه . ووصف عدّة الرامى وروغان الوعل وكبوته . وجاءت بعض الصور البلاغية غير المتكلفة ، وإن كانت قليلة . من مثل قوله :-

من فوقه شعف قر وأسفله جىّ

وقوله :-

موكّل بشدوف الصوم ، آد النهار .

• **بين البداية والنهاية :-**

بدأ الشاعر قصته بقوله :-

(تالله يبقى على الأيام ذو حيد)

وهذه البداية القصصية تكررت كثيراً فى شعر الهذليين حتى صارت لازمة من لوازم القصة عندهم . إذا أراد الشاعر أن يحكى قصته بدأها بقوله " والدهر لايبقى على حدثانه " وهى ليست جملة خبرية أراد الشاعر أن يخبرنا بها عن نهاية قصته ، كما ظن صاحب كتاب " الرؤى المقنعة " عندما قال معلقا على هذه البداية عند الهذليين " وهذه صيغة فاجعة تماما للحكاية لأنها تقدم النهاية سلفا " (١) .

وهى ليست حُكْماً على القصة أشار إليها الشاعر من البداية كما يقول الدكتور / حسين نصار " وقد أغترف من قصص الصيد هذه شعراء بنى هذيل فأتوا منها بالقصص الرائع الباهر ، فقد اعتاد شعر هذه القبيلة فى الرثاء خصوصا أن يحكو قصص الصراع العنيف بين العظيم القوى من الحيوان والطير وبين القدر . والنهاية

١- الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوى فى دراسة الشعر الجاهلى . كمال أبو ديب ، ص ٢١٦ .

المحتومة لهذا الصراع . فهم يفرّون من مشاعرهم الخاصة إلى المشاعر العامة . أو من حزنهم الفردى إلى سنة الطبيعة فى القضاء على كل حىّ مهما بلغ .

وكانوا فى هذا القصص يصورون حياة مايعالجون من حيوان مع زوجته وعشيرته وما تمتع به من رياض ، وما حظى به من لهو ، وما نعم به من سعادة . وفى أثناء ذلك يبدو القدر على صورة صائد يرافق كلابه ، فتبدأ المطاردة ويشتد الصراع وتسقط القتلى .

ويُصرّ الشاعر الهذلى على إهلاك الحيوان الذى يصفه فى النهاية – لأن الفكرة كما يقول ساعدة بن جؤية :–

أرى الدهر لايبقى على حدثانه أبود بأطراف المناعة جلعد

ويكرّرها أبو ذؤيب : -

والدهر لايبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

ويكرّرها صخر الغىّ ، وأبو خراش وغيرهما [1] .

١– كتاب العربى " آراء حول قديم الشعر وجديده " الكتاب الثانية عشر ١٥ أكتوبر ١٩٨٦ م ص ٣٦ .

ويفهم من كلام الدكتورحسين نصار أن الشاعر قد أعطى فكرته، وهى إهلاك الحيوان منذ البداية . منذ أن قال "والدهر لا يبقى على حدثانه . وهى فكرة تقترب مما قاله صاحب " الروى المقنعه" وهو ما رفضناه عند حديثنا عن الحس القصصى فى شعر أبى ذؤيب الهذلى " لأسباب عديدة منها : -

أن بعض القصص الهذلى قد بدأ بهذه البداية " والدهر لا يبقى على حدثانه "ولم تأت النهاية بالموت ، وإنما أتت بالتشتت أو الضياع أو ما شابه ذلك . وأن هذه البداية أصبحت لازمة عند شعراء هذيل . إذا أراد الشاعر أن يبدأ قصته بدأها بقوله " والدهر لا يبقى على حدثانه " كما نبدأ الحكاية لأطفالنا بقولنا " كان يا ما كان " .

وقد جاءت النهاية هنا فى هذه القصة بالموت ، وهى نهاية طبيعية للشيب والهرم . فالنهاية جاءت متساوقة مع موضوع القصيدة .

(ب) قصة قطيع البقر

• نص القصة : -

ولا صـوار مـذرّاة مناسـجها	مثل الفريد الذى يجرى من النظـم
ظلّت صوافـن بـالأرزان صادية	فى ماحق من نهار الصيف محتدم
قد أوبيت كلّ مـاء فهى طاوية	مهما تصب أفقا من بارق تشـم
حتى شآها كليـل موهنا عمـل	باتت طرابا وبات الليل لـم ينـم
كـأنّ مـايتجلى مـن غواربهـا	بعد الهدوء تمشى النار فـى الضـرم
حـيران يركـب أعـلاه أسـافله	يخفى جديد تراب الأرض منهزم
فأسـأدت دلجـا تحـى لموقعـه	لـم تنتشب بوعوث الأرض والظلـم
حتى إذا ماتجلىّ ليلها فزعـت	من فارس وحليف الغرب ملتئم
فافتنّها فى فضاء الأرض يأفرها	وأصحرت عن قفـاف ذات معتصم
أتحى عليهـا شـراعيا فغادرهـا	لدى المزاحـف تلّى فى نضوخ دم
فكـان حتفـا بمقـدار وأدركهـا	طول النهار وليل غير منصـرم

• رؤية لغوية : -

هذه قصة أخرى فى القصيدة نفسها ، وفى الموضـوع نفسه ، تحدث فيها الشاعر عـن قطيـع مـن البقـر " صـوار " أى والدهر لا

يبقى على وعل ولا على صوارٍ ، ولا على قطيع من البقر (صوارٍ مذرّاة مناسجها ، مثل الفريد الذى يجرى من النظم" [١] قطيع من البقر ، تضرب الريح فى مناسجها البيضاء ، واقفة على ثلاثة أرجل عطشى فى يوم قائظ (ظلت صوافن فى الأرزان صادية ، فى ما حق من نهار الصيف محتدم) قد منعت الماء ، وأصبحت طاوية ، إذا رأت برقا توسمت فيه المطر ، منعها الرماة من الحركة وحاصروها مكانها تبيت على الطوى .حتى كانت ليلة برق فيها بارق فى الأفق ، فباتت تمنّى نفسها الأمانى ، وظل البرق طوال اليل على هذه الصورة ، يظهر قليلا ويختفى . ويبرق من أعلى مرة ومن أسفل أخرى . وسار البرق ليلا متوجها جهة هذا البرق ، سار لا يلوى على شئ . فهو إن لم يمت من الصائد مات من العطش ، وسار لا يتعبه مشى ولا تعوقه ظلمة .

فأسأدت دلجا تحمى لموافقة لم تنتشب بوعوث الأرض والظلم [٢]

---

١ – الصوار بكسر الصاد وضمها : القطيع من البقر ، منسج الدابة ما بين مغرز العنق إلى منقطع الحارك فى الصلب . أو ما شخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق . مذراة : قد ذريت بالمذرى . مثل الفريد أى كأنها فريد من بياضها .والفريد ما دوّد .

٢– الإسئاد : سير الليل . لم تنتشب : لم تحتبس .

وأخيرا ، وبعد هذه الرحلة الشاقة طوال الليل ، وسط الظلمة والأهوال ،انجلى الليل عن فارس بسيفه وقناته ، فكان الخوف والفزع ، وكان الهروب فى فضاء الأرض ، وكان العدو والوثب، وأصحرت وأقفرت ، والتفت الخيل والصائد حولها . ولم يضيع الصائد فرصته . لقد أشرع على القطيع رمحه الطويل ، وغادر القطيع وهو ينضخ بالدماء . فأخذت البقر نصيبها وأصابها قدرها وحتفها .

• **رؤية فنية** : -

هذه هى القصة الثانية ، أوهى النموذج الثانى للشيب والهرم . وهى تحكى عن قطيع من البقر ، قد حاصره الرماة فى مكان ما ليس به ماء ولا طعام . لقد أشرفت على الهلاك ، وظلت تتطلع إلى البرق لعل وراءه المطر ، عله ينقذها من الهلاك . ولمّا ابتعد هذا البرق ، وابتعد معه الأمل فى المطر ، وضاع الأمل المنشود ، تحرك القطيع بحثا عن الماء ، سار الليل كله ، حتى انبلج الصباح عن الخيل بفوارسها ، فكان هلاك هذا القطيع . ونلاحظ أن القصة قد بدأت ، وقد بلغت الروح الحلقوم ،وصلت النهاية وهكذا الشيب والهرم . لقد بدأت القصة بالقطيع وهو محاصر ظمآن .

ولم ينس الشاعر أن يجعل مناسجها بيضاء ، كما جعل أرجل

الوعول بيضاء من قبل . وهو رمز الشيب . وعندما أصاب الصائد القطيع أصابه بمقدار ـ فكان حتفا بمقدار ـ . وهكذا نرى الترابط الوثيق بين القصة وموضوع القصيدة .

• **الشخصيات** : -

شخصية قطيع البقر هنالها معالم واضحة . فأجسادها بيضاء كالفضة ، ضربت مناسجها الريح ،حوصرت فى مكان ما بعد مطاردة الرماة لها . وقد طالت وقفتها وحصارها حتى ذبلت " صادية " وهى تقف فى شدة الحر ، وقد منع عنها الماء .

ثم انتقل الشاعر إلى تصوير البعد النفسى للشخصية ، وهو انعكاس ونتاج البعد الجسدى ، فهى تنظر فى الأفق آملة أن تلمح برقا ، وأن يتحول هذا البرق إلى قطرات من الماء ، وهى فرحه لرؤيتها برقاً ضعيفاعلى بعد . وهى يائسة ' مغادرة عندما انهزم البرق وتلاشى . وهى فى سبيل قطرة ماء لا تحس تعبا ولاوهنا .

والشخصية الأخرى وهى شخصية الصائد ، هى شخصية ليست بذات بال ، فمعالمها غير واضحة ، وأثرها غير واضح أيضاً . ولم لا ، والظمأ كفيل بالنهاية ، ومرور الوقت يقتلهامن الظمأ بدون صائد ولاغيره . فالصائد هنا فارس يحمل سهمه وقناته

يتتبع خطى هذا البقر ، ومال عليها برمحه فأصابها قدرها .

• **الأحداث : -**

الأحداث هنا قليله بالقياس إلى النموذج السابق . فالقصه تبدأ بهذا الحصار لهذا القطيع من البقر في مكان قفرليس فيه مقوّمات الحياة ، مما يوحى لنا أن الحصار قد سبقه مطاردة من الرماة لهذا القطيع حتى ألجأه إلى هذا المكان الخالى من الحياة . وقطيع البقر لم يرضخ لهذا الحصار ، وإنما هو يتطلع إلى السماء آملا أن تهطل ، ولم تكتف بالتطلع إلى السماء ، لكنها راحت تجرى وراء هذا البرق . وتسير الليل كله بحثاً عن الماء . وهنا نرى الأحداث فى هذه القصة نامية ومتطورة ومحركة للأحداث . فحصار الرماه لها جعلها تطلب الماء ، وابتعاد البرق جعلها تطوى الليل بحثاً عنه ليسلمها إلى الصائد ، فتفر منه إلى خيل أخرى فتلقى حتفها الذى قدّر لها .

• **البيئة : -**

البيئة هنا تخدم القصة . وقد وصف الشاعر البيئة المكانية والزمانية ، بما يساهم فى رسم قصته . فهى قد حوصرت فى الأرزان ، وهى الأماكن العالية الخالية من المياه . والبرق الذى

ظهربرق كليل موهن ، وعندما هربت من الخيل هربت فى قفاف . وهو غلظ من الأرض لاتجرى فيه الخيل .

وأماالبيئه الزمانيه فهى (ما حق من نهار الصيف) (فأسـأدت دلجا) حتى المرة الوحيده التى انبلج فيها الظلام ، انبلج عن الخطر ، وظهر الفارس بعّدته :-

حتى إذا ماتجلّى ليلهـا فزعـت　　من فارس وحليف الغرب ملتئم[١]

(ج) جماعه الأنس

وهى النموذج الثالث الذى ساقه الشاعر فى قصته عن الشـيب والهرم وقد بدأه بقوله :-

هل اقتنى حدثان الدهر من أنس　　كانوا بمعيط لا وخـش ولا قـذم
كيـدا وجمعـا بآنـاس كأنهـم　　أفنـاد كبكب ذات الشث والخزم
يهـدى ابـن حعثـم الأنبـاء نحوهـم　　لا منتأى عن حياض الموت والحمـم
يخشى عليهـم مـن الأمـلاك بائجـة　　مـن البوائـج مثـل الخـادر الـرزم

١- الغرب : الحد . حليف اللسان : حديد اللسان ، حليف الغرب حديد الحد.

ذا جزأة تسقط الأحبال رهبته مهما يكن من مسام مكره يسم
يدعون حمسا ولم يرتع لهم فزع حتى رأوهم خلال السبى والنعم
بعقرّبات بأيديهم أعنتها خوص إذا فزعوا أدغمن فى اللجم
يوشونهن إذا مانابهم فزع تحت السنوّر بالأعقاب والحذم
فاشرعوا يزنيات محدّبة مثل الكواكب يسّاقون بالسّمم
كأنّما يقع البصرى بينهم من الطوائف والأعناق بالوزم
يجدّلون ملوكا فى طوائفهم ضربا خراديل كالتشقيق فى الأدم
ماذا هنالك من أسوان مكتئب وساهف ثمل فى صعدة حطم
وخضرم زاخر أعراقه تلف يؤوى اليتيم إذا ماظُنّ بالذمم
وشرجب نحره دام وصفحته يصيح مثل صياح النسر منتحم
مطرف وسط أولى الخيل معتكر كالفحل قرقر وسط الهجمة القطم
وحرّة من وراء الكور واركة فى مركب الكر أو تمشى على جشم
يذرين دمعا على الأشفار منحدراً يرفلن بعد ثياب الخال فى الردم
فاستدبروهم فهاضوهم كأنهم أرجاء هارِ زفاه اليم منثلم
فحلّزوا بأسارى فى زمامهم وجامل كحريم الطود مقتسم (٢)

٢- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص٢٠٧ .

• **رؤية لغوية :-**

هذى هى القصة الثالثة ، أو النموذج الثالث للهرم والشيب . وهو فى هذه المرة نموذج من البشر ، كانوا يعيشون فى بلاد هذيل ماهم بلئام ولا بأنذال وكانوا أصحاب عدة وعدد ، ولهم كتائب وجيوش ، تحربهم الكتائب وتنمى إليهم أخبار الأعداء ، لايصيبهم خوف ولا فزع ، وهم أعزّة . أصابهم العدو ، ويالـه من يوم ، ويالها من إصابة :

ماذا هنالك من أسوان مكتئب ، وساهف ثمل فى صعدة حطم وخضرم وشرجب نحره دام وصفحته ، يصيح مثل النسر منتحم . وحرّة من وراء الكور واركة ، يذرين دمعا على الأشفار ، يرفلن بعد ثياب الخال فى الردم [1] تلك هى النهاية ، وهذا هو فعل الأيام ، وأثر حدثان الدهر .

١- أسوان : حزين . الساهف : العطشان . الخضرم : الواسع الخلق ، الخضارم : الأشراف . الشرجب : الطويل . الانتحام : شبيه بالنفس من الصدر . واركة : أردفت فهى متوركة . ثياب الخال : برود حمر فيها خطوط خضر .

• **رؤية فنية :-**

الأشخاص :-

لقد رسم الشاعر صورة للأشخاص (لا وخش ولا قزم) [١]. فما هم بلئام ولا بأنذال . لهم كتائب وجيوش ، وتصلهم أخبار العدو ، ويسميهم الناس بالحمس لعزّهم ، وكذلك لايغزون لعزّهم وسمعتهم . وهم أيضاً أوقفوا الخيل مقربات ، استعداد للغزو ، وهذا يعكس البعد الجسمى والنفسى للشخصيات فى القصة ، وهو وإن كان بعداً غائما ، وغير محدد ، إلا أنه يخدم القصة ، فهؤلاء رغم عزهم وقوتهم لم يمهلهم الدهر أيضاً .

• **معالم ضائعة :-**

لقد ذكر الشاعر فى القصة أن هؤلاء القوم كانوا يعيشون " بمعيط " وتقول كتب اللغة أن " معيط " موضع [٢] . وموضع ببلاد هذيل [٣] . هذا هو ماتخبرنا به المراجع . والذى لاشك فيه أن هذا المكان كان له من السمات الجغرافية مايميّزه عن غيره من

١- الوخش : الأنذال . القزم : اللئام .

٢- لسان العرب : مادة عيط .

٣- الديوان : ج١ ، ص ٢٠٠ .

الأماكن[١] من ناحية ، ويضيف إلى القصة جديداً من ناحية أخرى . فالشاعر لايحدد الأماكن عبثاً . وقد ضاعت هذه المعالم بالنسبة لنا وأصبحنا غير قادرين على تفسيرها .

• **الأحداث :-**

تبدأ القصة بوصف لهؤلاء الناس الذين يعيشون فى دعة ونعمة ، فى موضع من أرض هذيل ، لهم كتائب وجيوش كثيرة يخشى عليهم غيرهم ، ويحرسهم . يقربون الخيل ليكونوا على أهبة الاستعداد للحرب .

وبعد هذا الوصف لهم يأتى الحدث الأول فى القصة :-

فأشرعوا يزنيات محرّبة مثل الكواكب يسّاقون بالسمم

لقد بدأوا فى القتال ، وسددوا أسلحتهم الغاضبة ، وكانوا يتساقون كئوس المنيّة ، وراح السيف يعمل هنا وهناك .

هذا الحدث عمل على تحريك الشخوص لتتوالى الأحداث بعدها " يجدلون ملوكا فى طوائفهم " ماذا هنالك من أسوان مكتئب " شرجب نحره دام وصفحته يصيح " وهكذا تتوالى الأحداث

١- نحن الآن مثلا عندما نعرف أن شخصا يسكن فى أسوان ، أو فى الاسكندرية نتصور المناخ الذى كان يعيش فيه وانعكاس هذا المناخ عليه .

المترتبة على الحدث الأول .

وترى المرأة الحرة وقد أخرجت من خدرها ، وهى متوركة مركب الكره ، أو تمشى على جشم ، وتنظر دمعا على الأشفار منحدراً ، وهن فى الردم بعد أن كن يلبسن البرود وغيرها .

وهنا يأتى حدث أخر " فاستدبروهم " ويترتب على هذا الحدث " هاضوهم " كسروهم ودقّوهم ، فسقطوا فى جرف هار ، ومروا بأسارى فى الحبال .

• **بين ساعدة بن جؤية وأبى ذؤيب :-**

لقد كان أبو ذؤيب راوية لساعدة بن جؤية . والذى لاشك فيه أنه تأثر بأستاذه بصورة ما . نلمح هذا التأثر فى قصيدته " العينيّة " تلك التى بكى فيها أولاده الذين تخرموا . وهى تحمل ثلاث قصص ، أو نماذج أو أمثلة للدهر وحدثانه ، وما يصنع بهذه النماذج .

وساعدة بن جؤية كما رأينا هنا يقدم فى قصيدته ثلاث نماذج يقدم النموذج الأول فى صورة وعل ، والثانى فى صورة بقر وحشى ، والثالث فى صورة فارس . ومعنى هذا أن ساعدة قد قام بعرض نموذجين للحيوان ، ونموذج ثالث للإنسان .

وكذلك فعل أبو ذؤيب عندما قدم نموذجين للحيوان هما :

الحمار الوحشى والثور ، وقدم نموذجا للإنسان فى صورة الفارسين .

ولا يقتصر الأمر على هذا التشابه الظاهرى . ولكن صفات الثور عند أبى ذؤيب " شبب أفزته الكلاب – شعف الكلاب الضاريات فؤاده فإذا يرى الصبح المصدّق يفزع – ويعوذ بالأرطى إذا ماشفّه قطر ، يرمى بعينيه الغيوب – طرفه مغض يصدق طرفه مايسمع) .

وهذه الصفات بعينها هى صفات " الوعل " عند ساعدة بن جؤية .

فهو " موكّل بشدوف الصوم ينظرها . وهو – مخطوف الحشازرم .

وكذلك النموذج الثالث ، نموذج الفارس عند أبى ذؤيب ، وقد التحم بالفارس الآخر وصار نموذجاً واحداً . " فتناديا " ، وتواقفت خيلاهما " – كلاهما بطل اللقاء – " متحاميين المجد " " عليهما مسرودتان " " كلاهما فى كفه يزنية " " كلاهما متوشح ذا رونق " " فتخالسا نفسيهما بنوافذ " " كلاهما قد عاش عيشة ماجد" . وقد هلكا معا . الفارس والفارس الآخر . وكذلك نرى النموذج الإنسانى عند ساعدة بن جؤية ، وقد توازت وتساوت القوتان . فالقوة الأولى

" لاوخش ولا قزم " " كأنهم أفناد كبكب ؛ " والقوة الثانية " بمقرّبات بأيديهم أعنتها " " يوشونهن إذا مانابهم فزع . وتختلط القوة الأولى بالقوة الثانية ، ويأتى الضمير " فأشرعوا بزنيّات محرّبة مثل الكواكب " ولا ندرى من هم الذين أشرعوا ؟ ثم ، وبعد أن جدّلوا ملوكا فى طوائفهم ، وخضرم زاخر ، وشرجب ، وحَرّة إلى آخره بعد ذلك نجد قول الشاعر " فاستدبروهم " . ولا ندرى أى فريق هو الذى استدبر الآخر . ومن هنا نجد اختلاط القوتين ، وتساقى الموت عند الفريقين ، عند ساعدة بن جؤية وأبى ذؤيب الهذلى .

وبمقارنة القصيدتين نجد أبا ذؤيب وقد استفاد من ساعدة بن جؤية من ناحية ، وصهرته تجربة موت أولاده من ناحية أخرى ، فجاءت قصيدته أكثر نضجا ، صوّر فيها حال أولاده فى النموذج الأول ، وصور حاله فى النموذج الثانى ، وصوّر من حوله من الناس فى النموذج الثالث .

يبقى أن نقول إننا اضطررنا لفصل هذه النماذج لدراستها ، ولكنها غير منفصلة عن بعضها ، ولكن تَلُفُّها كلها فكرة واحدة تتعاضد مع بعضها لتشكل الموضوع الذى قال من أجله الشاعر قصيدته . هذه الفكرة هى أن الدهر لايبقى على أحد ، ضعيفا كان أو قوياً ، وحيداً أوتحميه الكتائب المدججة بالسلاح .

القصة الثالثة

﴿ غضــــوب ﴾

وقد وردت هذه القصـة فـى قصيدة تتحدث عن هجر تلـك المحبوبة " غضوب " لـه . وحـالت الحوائـل دون الاقتراب منهـا ، والتف حولها قوم حراص عليها ، حراص علـى قتلـه ، يكنّـون لـه البغض ، وهى تلّج فى الابتعاد .

ومع ذلك ، ومع تطاول الأمد ، ومع وقوع كثير مـن الآلام ، فمازال القلب يهيم بهـا ، وينبـض بحبهـا ، وينشـغل بذكرهـا . ومـع ذلك فهى لاتقبل العتاب ، ولا ترجع عما هى فيه من بعد وهجر .

يقول ساعدة فى مطلع هذه القصيدة : –

هجرت غضوب وحب من يتحبب ... وعدت عواد دون وليـك تشـعب

ومن العوادى أن تقتك ببغضـــة ... وتقـاذف منهـا وأنـك ترقــب

شاب الغراب ولا فؤادك تـارك ... ذكر الغضوب ولا عتابك يعتــب

هذه هى مقدمة القصيدة ، أو مقدمة القصـة . وواضـح أنـه لا أمل عند الشاعر فى عودة غضوب إليه ، فهى تلجّ فى البعد وتوغل

فى الخصام والهجر .

وقد ساق الشاعر قصته بعد هذه المقدمة الطويلة ، والتى انتهت بقوله :-

فاليوم إما تمس فات مزارها　　منا وتصبح ليس فيها مأرب

وإذن فقد وصل إلى حالة اليأس من مزارها ، وأصبحت وليس فيها من مأرب . وقد ساق قصته فقال :-

فالدهر لايبقى على حدثانه　　أنس لفيف ذو طوائف حوشب
فى مجلس بيض الوجوه يكنّهم　　غاب كأشطان القليب منصّب
متقارب أنسابهم وأعزّة　　توقى بمثلهم الظلام وترهب
فإذا تحومى جانب يرعونه　　وإذا يجيئ نذيره لم يهربوا
بذخاء كلهم إذا مانوكروا　　يتقى كما يتقى الطلىّ الأجرب
ذو سورة يحمى المضاف ويحتمى　　مَصِعٌ يكاد إذا يساور يكلب
بيناهم يوما كذلك راعهم　　ضَبْر لباسهم الحديد مؤلب
تحميهم شبهاء ذات قوانس　　رمّازة تأبى لهم أن يحربوا
من كل فجّ تستقيم طمرّة　　شوهاء أو عبل الجزارة منهب
خاطِى البضيع له زوافر عبلة　　عوج ومتن كالجديلة سلهب
وحوافر تقع البراح كأنّما　　ألف الزّماع بها سلام صلّب

يهتز فى طـرف العنـان كأنـه جذع إذا فرع النخيـل مشـذّب
فحبت كتيبتهم وصدّق روعهـم من كـل فـجّ غـارة لاتكـذب
لايكتبـون ولا يكـت عديدهـم حفلت بجيشـهم كتائب أوعبـوا
وإذا يجيئ مصّمـت من غـارة فيقول قد آنست هيجا فاركبـوا
طـاروا بكـل طمـرّة ملبونـة جرداء يقدمها كميـت شـرجب
فرمـوا بنقـع يسـتقل عصائبـا فى الجوّ منه ساطع ومكثـب
فتعـاوروا ضربا وأشـرع بينهـم أسلات ماصاغ القيـون وركبـوا
مـن كـل أظمـى عـاتر لاشـانه قصر ولا راش الكعـوب معلب
خرق من الخطىّ أغمـض حدّه مثـل الشـهاب رفعتـه يتلهّـب
ممـا يـترّص فـى الثقـاف يزينـه أخـذى كخافيـة العقـاب محـرّب
لذَبهـذّ الكـف يعسـل متنـه فيه كما عسـل الطريـق الثعلب
فأبـار جمعه السـيوفُ وأبـرزوا عـن كـل راقنـة تجـرّ وتسـلب
واستدبروهم يكفئون عروجهـم مـور الجهام إذا زفته الأزيب [(١)]

• **رؤية لغوية** :

تحكى تلك القصـة عن جماعـة كثيرة معتزة بنفسـها ، ملتفة متشابكة متماسكة ، متعاضدة (أنس لفيف ذو طوائف حوشب)[(١)]

١- الديوان ، ج١ ، ص ١٦٨ .

تحميهم وتحرسهم كتائب مدججة بالسلاح ، كأنهم أجمة الغاب من كثرتها (يكنّهم غاب كأشطان القليب منصب) (١) أنسابهم متقاربة ، فكلهم يضرب فى شرف تليد وعز رفيع ، يخاف ويتقى جانبهم فلا يظلموا .

إذا تحاشى الناس جانبا وخافوه لخطورته ، رعوه وأقاموا فيه لايخافون إنذاراً ولا تهديداً (فإذا تحومى جانب يرعونه ، وإذا يجيئ نذيره لم يهربوا) يُرْهب جانبهم . فهم ذو سورة وحدّة ونظر سديد . وهو يحمى من لجأ إليه . شديد المماشقة بالسيف ، إذا احتدم أحد عليه استأسد واستكلب (ذو سورة يحمى المضاف ويحتمى ، مصع يكاد إذا يساور يكلب) (٢) .

هذه هى صورة هؤلاء الناس ، فهل يتركهم الدهر هكذا فى

١-الأنس : بالتحريك ، الحىّ المقيمون (لسان العرب مادة أنس) والحوشب: المنتفخ .

١- يكنهم : يسترهم . غاب : أجم . الأشطان : الجبال . القليب : البئر . منصب : مركوز وثابت .

٢- ذو سورة : ذووثبة . المساورة : الوثوب والثورة (لسان العرب مادة : وثب) والمضاف الملصق بالقوم . مصع : شديد المماشقة بالسيف . يكلب : يغضب .

عزة ومنعة ؟ لابد من تقلب الحال .

لقد صبّحهم عدو لايقل عنهم شأنا ولا قوة وعزة ومنعة . فعدوهم أيضاً جماعة ، يدواحدة ، يلبسون الدروع ، تحميهم كتيبة مدججة بالسلاح ، شهباء من كثرة بياض الأسلحة فى هذه الكتيبة .

(راعهم ضبر لباسهم الحديد مؤلب تحميهم شهباء ذات قوانس رمّازة تأبى لهم أن يحربوا) (١) . لها فروع تموج من كثرتها ، قائمة على حراستهم تأبى لهم أن يسلبوا .

ترى الطرق وقد طلعت منها كل دابة مشرفة غليظة القوائم تنهب الأرض بأقدامها ، وأفراس ممتلئة اللحم ، طويلة المتن ، تقرع حوافرها الأرض ، وقد ألف الحافر تلك الحجارة الشديدة ، يهتز من حدته فى لجامه ، كما يهتز جذع النخلة إذا اعتلاها المشذّب .

من كل فجّ تستقيم طمرّة ... شوهاء أو عبل الجزارة منهب
خاظى البضيع له زوافر عبلة ... عوج ومتن كالجديلة سلهب

١- الضبر : الجماعة الذى يغزون على أرجلهم . شهباء : بيضاء من كثرة السيوف ذات قوانس : ذات فروع . رمّازة : كثيرة تموج من كثرتها . يجربوا: تؤخذ حريبتهم . وحريبة الرجل ، ماله الذى يسلبه .

وحوافـر تقـع الـبراح كأنمـا ألـف الزمـاع بهـا سـلام صلّـب
يهتزّ فى طرف العنـان كأنـه جذع إذا فرع النخيل مشـذب( )

وبعد أن فرغ الشاعر من وصف قوة الفريقين ، أدار المعركة بينهما . لقد تهيّأت الكتيبة للقتال ، وأحسّت بقرب وقوعه ، وصدق حدسهم فى ذلك . توالت الغارات من كل جانب ، غارات عديدة لاتحصى ، قد استجمعوا كل عـدّة . يدعوهم الداعى إلى الغارات فيطيرون إليها بكل طويلة ملبنة . جرداء . (طاروا بكل طمرّة ملبونة جرداء يقدمها كميت شرجب) (٢) .

لقد رموا بغبار كثيف من أثر الخيل ، فإذا بهذا الغبار من كثرته يشكل سحابة فى السماء لاتبرح ، لقد تبادلوا الطعنات ، وأشرعت الرماح ، رماح سمر تهتز دون عيب ولا خور ، ولكنها مشدودة صلبة ، رماح لطيفة الحد تتلهب من شدتها . فأبارت

١- الطّمر : الفرس الجواد . شوهاء : حديدة البصر .(لسان العرب مادة : شوه) العبل : الضخم . الجزارة : القوائم . خاظى البضيع . ممتلى اللحم . زوافر عبلة : وسطه ضخم . متن سلهب : أى طويل مجدول . الزماع : ظلف الشاة . السلام : الحجارة . فرع النخيل : علاها .

٢- الطمرّة: الطويلة . ملبونة : فرس ملبون ولبين ، قد ربىّ باللبن . جرداء: قصيرة الشعر . شرجب: طويل الجسم . كميت: لون ليس بأشقر ولا أدهم.

السيوف جمعهم ، وانكشفت الغارات عن أسلاب من الظعائن ، وفرّ الجمع هارباً مدبراً ، عاثوا فى الأرض وانتشروا فيها ، كما هزت ريح الجنوب السحاب فانتشرت فى الأرض .

• **رؤية فنية** :-

ارتباط القصة بموضوع القصيدة :-

لقد ساق الشاعر هذه القصيدة فى محبوبته " غضوب " أحبّها وتعلق بها . ولم يلق منها سوى الصدّ والهجران والبغضاء ، والرّصَد والحراس ، والنأى والرحيل . ومع تعلق قلبه بها فقد وصل إلى طريق مسدود :-

هجرت غضوب وحبّ من يتحبب	**وعدت عواد دون وليك تشعب**
ومن العوادى أن تقتك ببغضة	**وتقاذف منها وأنك ترقب**
شاب الغراب ولا فؤادك تارك	**ذكر الغضوب ولا عتابك يعتب**

ثم يروح يكشف عن أيامه الحلوة معها ، ويصفها بالغزال الصغير ، غضيض الطرف ، ويفيض به مايعانيه من وجد بعد وصفها ، وتذكّر أيامها ، فيحلف بالأيمان العديدة أنه يهواها . ويزجر قلبه عن التعلق بها لبعد منالها .

لقد يأس من هذا النوال ، بعد مفارقتها وأهلها للدّيار :-

فاليوم إما تمس فات مزارها   منا وتصبح ليس فيها مأرب

وبعد هذا ، وبعد هذا اليأس من مزارها ، أو مأرب فيها ، ساق قصته . ولذلك جاءت نهاية القصة بهذه الصورة ، نهاية مفجعة مدمرة ، لكل الأنس الذى كان يعيشه هؤلاء الناس . هذا من ناحية النهاية وموافقتها لموضوع القصيدة .

وشئ آخر ينبغى أن نلاحظه ، وهو وصفه لهذه المجموعة من الناس وكيف كانت تعيش فى البداية :-

فالدهر لايبقى على حدثانه   أنس لفيف ذو طوائف حوشب

فهم جماعة من الناس كثر " فى مجلس بيض الوجوه " ولا أرى تبريراً لوصف الشاعر لهذه الجماعة بأنهم بيض الوجوه ، لا أرى تبريراً لذلك إلا أنه وصف هذا الجمع وفى ذهنه " غضوب " وكأنه يصف مجلسه هو . ونلاحظ أنه أعقب هذا الوصف " بيض الوجوه " بقوله " يكنّهم غاب كأشطان القليب منصب " كأنَّ هذا المجلس يحتاج إلى حراسة . وقد ألمح قبل ذلك إلى الرقباء والحراس عند وصفها فى البيت الثانى من القصيدة بقوله :-

ومن العوادى أن تقتك ببغضة   وتقاذف منها وأنك ترقب

أى ترصد وتحرس . ومع أنه بدأ قصته بوصف هذه الجماعة الكثيرة ، وتحدث من بداية قصته بصيغة الجمع " بيض الوجوه " يكنّهم غاب " ، " متقارب أنسابهم " " أعزة " ، " فإذا تحومى جانب" " بذخاء كلهم " ومع أن القصة كلها تحكى عن جماعة من الناس وبصيغة الجمع ، فقد جاء التعبير بصيغة المفرد مرّة واحدة دون تقديم ولا تمهيد : " ذو سورة " ، " يحمى المضاف " ، " مصع يكاد إذا يساور يكلب " . وليس هناك من تفسير لذلك سوى أن الشاعر وهو يصف هذا الجمع الكثير ، ماكان يصف سوى جماعته ، وقد عرّج بالحديث عن نفسه دون تمهيد مسبق ، فوصف نفسه بأنه ذو سورة إذا قاتل ، وبأنه يحمى من يلجأ إليه ، فهو شجاع كريم ، وإذا استغضب غضب .

- **والنهاية** :-

فرّقت السيوف جمعهم ، ثم ماذا ؟ " أبرزوا عن كل راقنة تجر وتسلَب " كشفوا لهؤلاء المغيرين عن كل راقنة – والراقنة : المرأة المتضمخة بالزعفران – أرأيت ماذا فقد هؤلاء ؟ وبعد هذه الحرب الضروس فقدوا كل راقنة تجر وتسلب . مافقدوه هو مافقده الشاعر ، وهو ماساق القصيدة من أجله . وهذا يوضح ارتباط القصة بموضوع القصيدة .

• **الشخصيات :-**

الشخصية الأولى فى القصة ، هى شخصية الشاعر نفسه ، لأنها قصته ، قصة حبه الضائع ، قصة حبيبته التى ضاعت منه " فهو يصف نفسه أولاً ولكنه يصف نفسه بقومه ، فهو جزء من كل هو من قبيلة كبيرة ، " أنس لفيف " ووسط قوم مدججين بالسلاح وأعزّة ، ولا يخافون ، عظماء الشأن . ومع أن قبيلتة بهذه الصورة ومع أنه قوى بقبيلته ، إلا أنه قوى بنفسه أيضاً فهو ذو سورة ، ويحمى من لجأ إليه . فوصف القبيلة وتحديدها وصف للشاعر وتحديد له .

الشخصية الثانية هى الطرف المقابل . لنقل إنهم أهل " غضوب " محبوبته الذين انتزعوها منه ، والذين حالوا بينه وبينها . وهم أيضاً قد حُدّدت صفاتهم . فهم جماعة كثيرة ، لباسهم الحديد والدروع . وهى جماعة مساوية تماماً لجماعة الشاعر ، فكما أن جماعة الشاعر " يكنهم غاب كأشطان القليب " فهذه الجماعة أيضاً " تحميهم شهباء ذات قوانس رمّازة " [١] وهنا نلمح التوازى فى رسم شخصية أهل الشاعر ، مع شخصية أهل المحبوبة .

١- ذات قوانس : لها فروع كثيرة . رمّازة : تموج من كثرتها .

ونلاحظ هنا فى رسم الشخصيات ، أنها لاتقيم معلما واضحاً لكل شخصية على حدة ، وإنما هذا جمع كثير قوى ، قد التقى بجمع كثير قوى ، فمعالم الشخصيات هنا باهتة وغير واضحة .

• **الأحداث :-**

لا يوجد سوى حدث واحد فى هذه القصة ، شغل الشاعر نفسه به ، وهو ضياع المحبوبة من بين يديه . حالوا بينه وبينها . وتبدأ الأحداث فى التحرك بقول الشاعر :-

بيناهم يوما كذلك راعهم ضبر لباسهم الحديد مؤلب

فقد راعهم وفجأهم جماعة أخرى . تتلو هذه البداية ركود وتوقف فى الأحداث لوصف هذه القوة التى راعتهم . ثم :

فتعاوروا ضربا وأشرع بينهم أسلات ماصاغ القيون وركّبوا

وهنا دارت المعركة ، وليس فيها أحداث ، ولا كرّ ولا فرّ ، ولا إقبال ولا إدبار ، وإنما ، وحتى فى أحداث المعركة ، نرى الشاعر قد شغل بوصف السيوف والرماح . ثم " فأبار جمعهم

السيوف " وترتب على ذلك " أبرزوا عن كل راقنة تجرّ وتسلب " و" استدبروهم يكفئون عروجهم " (١) .

فالأحداث فى هذه القصة قليلة من ناحية ، وليس فيها تسلسل ولا نمو من ناحية أخرى .

• الصياغة والأسلوب :-

اعتمد الشاعر هنا فى صياغة الأحداث على طريقة السرد الإخبارى للقصة من بدايتها إلى نهايتها .

وقد اعتمد على الوصف والتصوير فى بعض المواقف ، وأكثر من التشبيه " غاب كأشطان القليب " ، " يتقى كما يتقى الطلىّ الأجرب " ، " يهتز فى طرف العنان كأنه جذع إذا فرع النخيل مشدب " " أخذى كخافية العقاب " واستدبروهم يكفئون عروجهم مور الجهام .

• بين البداية والنهاية :-

بدأ الشاعر قصيدته بقوله :-

فالدهـــر لايبقى على حدثانـــه   أنس لفيف ذو طوائف حوشـــب

١- العروج : الإبل الكثيرة .

وجاءت نهاية القصة بالإبادة والموت . وقد ذكرنا فى القصة السابقة أن هذا المطلع قد أصبح لازمة للهذليين ، غير مرتبط بنهاية القصة ، ولا مخبر عنها . وأن نهاية القصة مرتبط بموضوع القصيدة ، ويختلف باختلاف موضوعها .

ولما كان الشاعر قد يأس من وصل غضوب له ، فقد اختار هذه النهاية لهذا الأنس اللفيف .


الحس القصصى
فى شعر
اسامة بن الحارث

القصة الأولى لأسامة بن الحارث [١]

﴿ اغتـــراب ﴾

• **تقديم : -**

أسامة بن الحارث رجـل مفـز ع بـالهجر دائمـا ، مفـزّ ع بـترك أحبابه له .

ينصح أهله بعدم الغربة ، بعدم مغادرة الديـار ، بعـدم مفارقـة الأهل ، ولا يسمع له أحد .

عصـــاك الأقارب في أمرهــــم فزايـــل بأمـــرك أو خالــط [٢]

ومرة أخرى يقول :-

١- قـال عنـه محقـق ديـوان الهذليين ، ج ٢ ، مانصـه : أسـامة بـن الحـارث الهذلي لـم نقف علـى ترجمـة وافيـة لـه فيمـا لدينـا مـن المظـان . ج ٢ ، ص ١٩٥. وقـد تحـدث عنـه ابـن قتيبـة فـي " الشـعر والشـعراء ، ص ٦٧٠ وهـو يتحدث عن أخيه مالك بـن الحـرث الهذلـي فقـال " شـاعران مجيـدان جميعـاً وأشار إلى أن ترجمة أسامة في (اللآلي ٨١ ، والإصابة ١ : ١٠٦) .

٢- ديوان الهذليين ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

أبـــى جـذم قومـك إلا ذهابـا أنابـوا وكـان عليهم كتابـا [١]

ومرة ثالثة ينصح رجلاً من قيس هـاجر فـى خلافـة عمر بن الخطاب رضى اللـه عنه :-

عصانى أويس فـى الذهـاب كمـا عصـت عسـوس صوى فى ضرعها الغبر مـانع [٢]
عصانى ولم يردد علىّ بطاعـــة لمكث ولم تقبض عليه الأشاجع [٣]

وهو فى هذه القصيدة التى بين أيدينا ينصح خالداً هذا المذكور فى القصيدة بعدم الذهـاب إلـى الشـام ولـم يسـتمع لـه ، فـراح ينشد القصيدة ، أو يروى القصة التى قدم لها بمقدمة لانقول عنها غزليـة ، وإنما هى حديث مع جارته . وربما كانت جارته هذه ، هى نفسـه التى بين جنبيه .

• **يقول في المقدمة :-**

أجارتنا هـل ليـل ذى الهم راقـد أم النـوم عنـــى مـانع مـا أراود
أجارتنـــا إن امــــرأ ليعــــوده من ايسر مما بـت أخفـى العوائـد

١- ديوان الهذليين ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .
٢- العسوس : السيئة الخلق من الإبل . صوى : يبس ضرعها ، الغبر : بقيـة اللبن فى الضرع .
٣- ديوان الهذليين ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

تذكرت إخواني فبت مسهوا كما ذكرت بوا من الليل فاقد
لعمرى لقد أمهلت فى نهى خالد عن الشام إما يعصينك خالد
وأمهلت فى إخوانه فكأنما يسمع بالنهى النعام الشوارد
فقلت له لا المرء مالك نفسه ولا هو فى جذم العشيرة عائد
أسيت على جذم العشيرة أصبحت تُقَورُ منها حافة وطرائد

وهكذا نلمح من المقدمة ألم الشاعر وحزنه على عشيرته التى يقتطع منها قطعة قطعة حتى تذهب وتتدثر .

وقد بدأ الشاعر بعد هذه المقدمة إلى سوق قصته " اغتراب " فقال :-

فو الله لا يبقى على حدثانه طريد بأوطان العلاية فارد
من الصحم ميفاء الحزون كأنه إذا اهتاج فى وجه من الصبح ناشد
يصيح فى الأسحار فى كل صارة كما ناشد الذّم الكفيل المعاهد
فلاه عن الآلاف فى كل مسكن إلى لحق الأوزار خيل قوائد
أرته من الجرباء فى كل منظر طبابا فمثواه النهار المراكد
يظل مخم الهم يقسم أمره بتكلفة هل آخر اليوم آئد
بقادم عصر أذهلت عن قرانها مراضعها والفاصلات الجدائد
إذا نضحت بالماء وازداد فورها نجا وهو مكدود من الغم ناجد

يعالج بالعطفين شأوا كأنه ... حريق أشاعته الأباءة حاصد
يقرنه والنقع فوق سراته ... خلاف المسيح الغيث ا لمترافد
إذا لجّ فى نفر يشق طريقه ... إراغة شد وقعه متواطد
كأن سرافيا عليه إذا جرى ... وحاربه بعد الخبار الفدافد
وحلأه عن ماء كل ثميلة ... رماة بأيديهم قران مطارد
وشقوا بمنحوض القطاع فؤاده ... لهم قترات قد بنين محاتد
فحادث أنهاءً له قد تقطعت ... وأشمس لما أخلفته المعاهد
له مشرب قد حلّئت عن سِمالِه ... من القيظ حتى أوحشته الأوابد
كأن سبيخ الطير فوق جمامه ... إذا ضربته الريح صوف لبائد
بمظمأة ليست إليها مفازة ... عليها رماة الوحش مثنى وواحد
فماطله طول المصيف ولم يصب ... هواه من النوء السحاب الرواعد
إذا شده الربع السواء فإنه ... على تمه مستأنس الماء وارد
أناب وقد أمسى على الباب قبله ... أقيدر لا ينمى الرمية صائد [1]

• **رؤية لغوية :**

هذه هى القصة ، قصة اجتماعية ، تصور الاغتراب وما يعانيه الإنسان عندما يكون بعيدا عن أهله . وقد بدأ قصته بالبداية

١- ديوان الهذليين ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

المعهودة عند الهذليين " فوالله لا يبقى على حدثانه " وبطل قصته في هذه المرة لن يكون فارها ، ولا مرفهاً ولا منعماً وإنما هو طريد .

فوالله لايبقى على حدثانه طريد " وهو فارد[١] وحيد .

وحتى لونه " من الصحم " وهو السواد إلى الصفرة . والمكان ميفاء الحزون ، وهو ماغلظ من الأرض . يصحبه ظلام الليل . ويظل يَنْشُدُ الصباح . يالها من صورة ناطقة للمغترب بعيدا عن أهله ودياره . يهيجه الظلام ، ويروح يتطلع إلى بصيص من ضوء ، يصيح في الأسحار ، في كل صارة [٢] ، يصيح في أعالي الجبال ، ويرتد صوته إليه ، لقد ألجأه إلى هذا المكان خيل قوائد .

فلاه عن الآلاف في كل مسكن إلى لحق الأوزار خيل قوائد [٣]

لقد عزلته الخيل المطاردة عن غيره . يقلب بصره بين أرض

١- لم نَمِلْ إلى ماذكره شارح الديوان من تفسير كلمة " فارد " بمعنى الممتلئ من الحمير (الديوان ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، واخترنا ماذكره اللسان " ناقة فاردة ، ومفراد ، تنفرد في المراعي . والذكر فارد لا غير (لسان العرب مادة فرد) . ليتمشى مع جو النص الذي ذكرناه .

٢- الصارة : من الجبل أعلاه .

٣- فلاه : نحّاه . الأوزار جمع وزر وهو الملجأ . (اللسان مادة وزر) .

راكدة جرداء غامضة ، وبين سماء " جرباء " يقضى الوقت وقد ركد الهم على صدره . ينظر فى هذا النهار الطويل " هل آخر اليوم آئد ؟ هل يذهب هذا اليوم ؟ فيستريح بمجئ الليل وليس هذا وفقط ، ليست الوحدة والهم ، ولكن الرماة كانوا له بالمرصاد .

لقد منعوه من ورود الماء ، وترصدوا له فى كل مورد بنبالهم:-

وحلأه عن ماء كل ثميلة　　رماة بأيديهم قران مطارد [1]
وشقوا بمنحوض القطاع فؤاده　　لهم قترات قد بنين محاتد

لقد أضعفوه وأنهكوه نفسيا وجسديا . إنه يرى نبلهم ونصالهم تلمع فى كل طريق ، ووراء كل حجر . وعلى كل ماء . لقد راح يعاود غدرانا عرفها قبل ذلك يلتمس بعض الماء . فوجد هذه الغدران وقد نضب ماؤها .

لم يعد هناك مفر من العيش على تلك الثمالة الباقية من الماء المتغير الآسن : -

كأن سبيخ الطير فوق جمامه　　إذا ضربته الريح صوف لبائد

وسط هذا الظمأ الذى ليس منه نجاة ، كان رماة الوحش

١- حلأه : طرده ومنعه .

يتصيدون خطأه ويتتبعون سيره . ومر الصيف ، ولم تمطر سحابة واحدة . ولم يعد هناك من مخرج . إن قصد مكانا يحنّ إليه ، أو يهواه ، سبقه إليه صائد مدرب .

إذا شده الربع السواء فإنه على ثمه مستأنس الماء وارد
أناب وأمسى على الباب قبله أقيدر لاينمى الرمية صائد

وتنتهى القصيدة ، وتنتهى معها القصة ، والنهاية مفتوحة . وهى المجهول الذى يترصد كل غائب ، وكل مفارق لأخوانه .

• **رؤية فنية** :

صلة القصة بمقدمة القصيدة :

فى هذه القصة تجد الترابط الواضح جداً بين مقدمة القصيدة وبين القصة فالمقدمة تتحدث بصراحة ووضوح ، وألم وحزن عن الغربة والاغتراب وما يحدثانه بالإنسان من ناحية ، وبقبيلته من ناحية أخرى .

لعمرى لقد أمهلت فى نهى خالد عن الشام إما يعصينك خالد
وأمهلت فى إخوانه فكأنما يسمع بالنهى النعام الشوارد
فقلت له لا المرء مالك نفسه ولا هو فى جذم العشيرة عائد
أسيت علىجذم العشيرة أصبحت تقور منها حافة وطرائد [١]

١- الديوان ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

وقد جاءت القصة تضرب على هذا الوتر ، وتصور الغريب طريدا ، وحيدا لا أهل له ، هائج ثائر ، حائر اللب ، من يراه يحسبه يطلب شيئا ضلّ له . اضطرته الخيل المطاردة إلى اللجوء والاختباء ، ومنعته الماء والحياة ، يسيطر عليه الهم ، ويطول اليوم عليه ، حتى يتمنى زواله . أجهده الحصار نفسيا وبدنيا ، واضطر إلى شرب الماء الآسن ، وما من خطوة يخطوها إلا والخطر يداهمه . وهى قصة تصوّر آلام الغربة النفسية والبدنية ، وتأتى وهى وثيقة الصلة بمقدمة القصيدة .

• **الشخصيات :-**

ليس فى القصة سوى شخصية واحدة أبدع الشاعر فى تصويرها وتناول بعدها النفسى ، وأغفل البعد الجسدى ، لأن الكل يتساوى أمام الغربة وآلامها ، الضعيف والقوى ، والطويل والقصير والعزيز والذليل ، المهم هنا هو البعد النفسى . وقد صور الشاعر هنا تلك الشخصية بأنها " طريدة " وبأنها " فارد " وحيدة . واختار لونها أسودا فى أصفر ، تشرف على أماكن غليظة وتروح تنظر إلى هنا وهناك كمن ينشد ضالة له . مهموم دائما (يظل محم الهم) يتكفأ (يعالج بالعطفين شأوا) وهو فزع وقلق إلى غاية المدى (وشقوا بمنحوص القطاع فؤاده) ذلك هو البعد النفسى

للشخصية التى معنا . وقد ساعد رسم الشخصية هنا ببعدها هذا ، بل إنى أكاد أقول إن عدم تناول البعد الجسمى قد قصد لنفهم أن أى إنسان مهما كانت درجة تحمله ، ستكون الغربة مؤلمة عليه . مما ساعد فى خدمة الغرض الأساسى فى القصة .

- **الأحداث :**

الحدث الوحيد فى القصة هو ترك الديار ، هو الطرد من الديار ، ذاك الذى وقع فى أول القصة ، وبعده توالت كل الأحداث على هذا الطريد الغريب لقد طلعت الخيل عليه فحاصرته فى مكانه وأخلفت السماء وعدها ولم تمطر ، وتوالت هجمات الصائدين عليه تترى ، ولا ينجو إلا وهو مكدود وقد علاه الغبار .

وأخيراً ظهر الرماة بأيديهم النبال ، فمنعوه من ورود الماء . مامن عين يقصدها إلا والصائد يسبقه إليها ، فالحدث الوحيد هنا هو مغادرة الأهل والديار ، وكل مايحدث بعد ذلك إنما هو نتيجة لهذا الحدث .

- **الصياغة فى القصة :-**

اعتمد الشاعر طريقة السرد للأحداث وحكايتها ، واعتمد على التشبيه فى كثير من المواقف من مثل قوله " كأنه إذا اهتاج فى وجه

من الصبح ناشد "

كما ناشد الذم الكفيل المعاهد كأن سرافيا عليه إذا جرى
كَأن سبيخ الطير فوق جمامه إذا ضربته الريح صوف لبائد

• **بين البداية والنهاية :-**

بدأ الشاعر قصته بقوله " فوالله لا يبقى على حدثانه " والقصة تتحدث عما يلاقيه الغريب من عدم أمن وذل وهوان وجوع ومطاردة وجاءت النهاية ، وفيها ضياع ، وفيها خطر ، وفيها كل شئ إلا الموت والهلاك . ولعل هذه النهاية تَرُدُّ على من عاب على القصة فى شعر هذيل ووصفها النهاية سلفا بقول الشاعر " والدهر لايبقى على حدثانه " وكأن الشاعر بهذه الجملة قد ساق النهاية ، قد ساق الموت والعناء وهو نتيجة القصة ونهايتها ، ساق ذلك فى البداية [1] فالنهاية هنا لم تأت بالموت ، وإن كانت قد أشارت إلى الخطر الذى يترصده . ولعل هذه النهاية أيضاً تؤكد ماقلناه من أن بداية القصيدة بقول الشاعر " والدهر لا يبقى على حدثانه " تحولت إلى مثل قولنا عند رواية قصة " كان ياما كان " .

والشاعر قد قصد إلى ان تكون النهاية فيها الخطر وفيها

١- الرؤى المقنعة . كمال أبو ديب ، ص ٢١٦ .

الأهوال وفيها الهموم ، فيها كل شئ إلا الموت . لأنه بصدد زجر الأحبة عن الاغتراب ، ولكنه يرفض فى أعماقه ألا يصيبهم مكروه ولا موت ، حتى وإن خالفوه ، حتى وإن لم يستجيبوا لنصحه .


الحس القصصى
فى شعر
أمية بن أبى عائذ

قصص أمية بن أبى عائد [١]

﴿طيف الخيال﴾

والقصة فى الشوق والوجد لمحبوبته . ونهايتها نجاة من الموت وعيش فى وحدة وخوف . وقد قدم الشاعر لقصته بمقدمة غزلية فقال :-

---

١- أمية بن أبى عائد : ترجم له صاحب الأغانى ، ج ٢٤ ، ص ٥ . وكان مما ذكره عنه أنه ، أمية بن أبى عائد العمرى ، أحد بنى عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل . شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية . وكان أحد مداحى بنى مروان . وله فى عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان قصائد مشهورة . وقد ذكر ابن الأعرابى وأبو عبيدة ، أنه وفد إلى عبد العزيز والى مصر وقد امتدحه بقصيدته التى أولها :-

ألا إن قلبى مع الظاعنينا حزين فمن ذا يعزى الحزينا

وطال مقامه عند عبد العزيز ، وكان يأنس به ، ووصله صلات سنية فتشوق إلى البادية وإلى أهله . فقال لعبد العزيز :-

متى راكب من أهل مصر وأهله بمكة من مصر العشية راجع

وذكر عدة أبيات بعد هذا البيت . فقال له عبد العزيز : اشتقت - والله - إلى أهلك يا أمية . فقال : نعم والله أيها الأمير . فوصله وأذن له .

ألا يــالقوم لطيــف الخيــال يــؤرق مــن نــازح ذى دلال
أجــاز إلينــا علــى بعـــده مهــاوى خــرق مهــاب مهــال
صحـــارى تغـــول جنانهـــا وأحـداب طـود رفيـع الجبـال
خيـال لجعـدة قـد هـاج لى نكاسا من الحب بعد اندمال
تسـدى مـع النـوم تمثالهـا دنـو الضبـاب بطـل زُلال
فبـاتت تسـائلنا فـى المنـام وأحبـب إلىّ بـذاك السـؤال
تثنى التحيـة بعد السـلام ثـم تفـدّى بعـم وخـال

إلى أن بدأ فى القصة التى تصور حاله وشوقه للمحبوبة فقال:-

أو أصحـمَ حـامٍ جـر اميزه حزابيـة حيـدى بالدِّحـال (١)
يـرنّ علـى مغزيـات العقـاق ويقرو بها قفرات الصـلال (٢)
مُرِبّـــاً بهـن لـه أمـره وهن لـه حـاذرات قوالـى (٣)
لواها عن الـمـاء حتـى أبت ـحب الورود - أنيق الأكـال

١- الأصحم : سواد إلى صفرة . جراميزه : بدنه . حزابية : مجتمع الخلق . الدحال : جمع دحل وهو الهوة من الأرض فيها ضيق .

٢- يرنّ : يصوت . المغزية من الإبل التى جازت الحق ولم تلد . وأتان مغزية ، متأخرة النتاج (لسان العرب مادة غزى) العقاق : تضخم البطن عند الجمل . يقرو : يتبع . الصلّ : ماتفرق من المطر .

٣- مُرباً : ملازما لهن .

وذكرهـــــا فيــح نجم الفروغ ... من صيهـد الشمس برد السِّمال
فظلت صوافن خوص العيـــــون ... كبـث النـوى بالربـا والهجال[١]
وظل يســـــوف أبوالهــــــا ... ويوفى زيـازى حدب التلال[٢]
مشيفا يراقب شمس النهـــــار ... حتى تقلـــــع فئ الظـلال[٣]
فطـــــــاف بتعشيره وانتحى ... جوائلهاوهو كالمســـتجال[٤]
وهيجها لاحـــــــق وقعـه ... لآثار منكمشات عجــــــال
نواجى مندفقات الصـــــدور ... بالـمرطى لاحقات التـــوالى
يؤم بها وانتحت للنّجـــــــاء ... عين الرصافة ذات النجـــال
تهادى حوافرها جنـــــــدلا ... زواهق ضرب فلاةٍ بقـــالِ[٥]
إذا غربه عمهن ارتفعـــــــن ... أرضا ويغتالها باغتيــــــال[٦]
تجيش عليهن جياشُــــــــه ... وهنّ جوافلُ منه جَـــوالِ[٧]

١- الصاقن : الذى قد رفع إحدى قوائمه . الهجال : ماالطمأن من الأرض .
٢-يسوق : يشم . الزيازى : ماغلظ من الأرض .
٣- مشفا : مشرفا .
٤- تعشيره : نهيقه . كالمستجال : كأنما أصابه فزع
٥- تهادى : تقاذف به اليد إلى الرجل . زواهق : نوادر . القلة : العو الصغير الذى يضرب به القال . والقال : العود الكبير الذى تضرب به القلة
٦- عربه : حدته ونشاطه . يغتالها : يلحق بها .
٧- جوافل : هوارب .جوال : تركن مكانهن وأقلعن عنه .

يغض ويغْضُضْنَ من ربـــــــــــق كشؤبوب ذى برد وانســحال[١]

إذا ماانتحين ذنوب الحضـــــــــار جاش خسيف فريغ الســجال [٢]

يحامى الحقيق إذا ما احتـــــــد من حمحم فى كوثر كالجــــــلال [٣]

كأن الطمرة ذات الطمـــــــــــاح منها لضبرته بالعقـــــــــــال

فأوردها مستحير الجمـــــــــــام ذا طحلب طافيا فى الضّحـــــال

فلما وردن ابتـــــدرن الشـــــروع بســط الأكـــفّ لأخـذ العوالى

فألقت حجافلها فى الجمـــــــــام ميح القماقم مافى القــــــلال[٤]

تجيل الحباب بأنفاســــــــــــــها وتجلوا سبيخ جُفال النُّســـــال [٥]

١- يغض : يكفكف مـن جريـه . يغضفـن : يجريـن بـلا حسـاب ، شـؤبوب : سحابة رقيقة شديدة وقع المطر . الانسحال : الانصباب .

٢- انتحين : تحرفن له . بئر خسيف : إذا كثر ماؤها . جاش خيف : أى فـار عليهن بحر من عدوه ودابه فريغ : واسع العدو .

٣- الحقيق : مايحق عليه أن يحميه . احتد من : اشـتد عدوهـن . حمحـم فـى كوثر : غبار كثير . الجلال : الغطاء .

٤- الجحافل : جحافل الخيل : أفواهها . وحجفلة الدابـة ماتتنـاول بـه العلـق . والجمام : الماء الكثير . الميح : أن يدخل البئر فيملأ الدلو . وامتاح من الهواه ، استقى (لسان العرب مادة ميـح) القمقم : الجـرة . والقمقـم : ضـرب مـن الأوانى ، ومايستقى به من نحاس والقلة : الجرّة العظيمة .

٥- تجيل الحباب : تنفخه بأنفاسها ، والمقصود حباب الماء . والجفال : مانفاه السيل من الغثاء والسبيخ : مانسل من الريش فوقع فى الماء .

وتلقى البلاعيم فى بـــــــــرده وتوفى الدفوف بشرب دخالِ [١]
فلما وردن صدرن النقيـــــــل كأوب مرامى غوىّ مغـــالى [٢]
فأسلكها مرصدا حافظـــــــا به ابن الدجى لاصقا كالطحال [٣]
مقيتا معيدا لأكل القنيـــــص ذا فاقــة ملحمـــل للعيـــال
له نسوة عاطلات الصـــــدو رعــوج مراضيع مثـل السعالى
تراح يداه لمحشـــــــورة خواظى القـداح عجاف النصال [٤]
كخشرم دبر له أزمــــــل أو الجمر حُشّ بصلب جزال [٥]
على عجس هتافة المذروبـــــــن زوراء مضجعة فى الشمال [٦]

١- البلاعيم : مجارى الطعام والشراب . توفى الدفوف : تملأ جنوبها بالماء حتى تنتفخ . الدخال : أن يدخل بين كل بعيرين بعير شرب قبل ذلك .

٢- النقيل والمناقلة : ضرب السير ، وهو بيـن العدو والخبب . والمرامى : السهام ، المغالى : الذى يغالى أيهما أبعد سهما .

٣- أسلكها : سلك بها. الدجى : جمع وجيه وهومكان يتوارى فيه الصائد .

٤ - المحشـورة : نبـل ألطـق قذذهـا . خواطـى : متـان . عجـاف النصــال : مرهفة رقيقة .

٥- الخشرم : جماعة النحل والزنانبير . الدبر : النحل . الأزمل : الصــوت . حش : أوقد بحطب صلب . جذل .

٦- العجس : مقبض القــوس . هتافـة المزرويـن : أى لطرفيهـا صــوت . زوراء: معوجة .

بها محصُ غير جافى القُـــــوى ... إذا مُــطَّ حَـــنّ بورك حُدَال[١]
فعيث ســـــــاعة افقرتـــــه ... بالإيفــاق والرمى أو باستـلال[٢]
يصيب الفريص وصـــــدقا يقـو ... ل مرحى وأيحى إذا ما يُـوالـــى[٣]
فعمّـــا قليـــــل سقاهــا معـــا ... بمزعــف ذيفــان قِشْبٍ ثُمَـال[٤]
ســوى العلـــج أخطـأه رائغـــا ... بثجــــراء ذات غــرار مُسـال [٥]
فجـــال عليهـــن فى نفـــره ... ليفتنهـــن زوال الــــزوال [٦]
فلمـــا رآهـــن بالجلهتيـــــــــ ... ن يكبون فى مطحرات الإلال [٧]
رمى بالجراميـــــز عرض الوجيـن ... ن وارمدّ فى الجرى بعد انفتال [٨]

١- المحصن : الوتر . إذا مُطّ : إذا جُرّ . بورك : بقوس عملت من وراك شجرة ، أى أصل شجرة . قوس محدلة : لاعوجاج رأسها .

٢- عيث : رجع بيده إلى كنانته ليأخذ سهما . استلال : أ، يستل معبلته أى نصله الطويل العريض من جعبته .

٣- الفريص : مضغة مرجع الكتف . مرحى ، وأيحى تقال عند الفرح .

٤- مزعف : الزعاف سم ، وسم ذعاف أى قاتل . الزيفان : السم . قشب : مايخلط السم ، ثمال : منقع .

٥- ثجراء : أرض واسعة غليظة . ذات غرار : أى ذات حدّ . مسال : مطال .

٦- حال : اعتمد . زوال الزوال : أى ليزول بهن عن الرامى .

٧- الجلهة: ماستقبلك من جانب الوادى. مطحرات: سهام . الإلال: الحراب.

٨- جراميزه: جرمه أوجسمه. الوجين: مااعترض لله من غلظ. أرمد: أسرع فى العدو .

بشـــأوٍ له كضـــريم الحريـــــــ ق أو شقة البرق فى عُرض حال[١]
يــمـــر كجنــــدلة المنجنيـــــــ ق يرمى بها السور يـــوم القتـــال
فماذا تخطـــــرف من حالـــــق ومن حـــدب وحجاب وجال [٢]
فأحيـــــا وجيفـــا وآلافُـــــه تجيش بهـن القـــدور الغـــــوالى
وقطّـــــع ألــواذِ داويـــــــة حـــارى غُـــلاّن طلح وضال [٣]
وليـــــل كـــأن أفـانينـــــــه صراصر جُلّلـــن دُهْـــم المظالى [٤]
وأضحى شفيفـــــا بقـرن الفـــلا ة جذلان يـــأمن أهـــل النبال [٥]
فإن يلق خيــــــلا فمستضلـــــع تزحـــزح عن مشرعات العوالى [٦]

١- شقة البرق : انشقاقه . الخال : السحاب .

٢- تخطرف : وثب من مرتفع . الحدب : مأأشرف . الجال : حرف الجبل .

٣- الألواذ : ماكان بالفلاة ، واللوذ : حضن الجبل . الغلاّن : جمع واحده غالّ وهو مااطمأن من الأرض وكثر شجره . الضال : شجر السدد .

٤- أفانيفه : نواحيه. صراصر : إبل بين النجاتى والغراب.الدهم :الأخبية السود.

٥- شفيفا : حزينا . جذلان : فرحان .

٦- مستضلع : قوى . والأبيات من ديوان الهذليين ، ج ٢ ، ص ١٨٩ .

• **رؤية لغوية :**

القصة هنا مختلفة ، فهى لم تأت بعد رثاء أو بكاء ميت ، ولّكنها أتت بعد هجر وتشوق تشوق لجعدة ، تلك التى أحبها الشاعى، وطال بعدها عنه ، وسبب هذا جرحا عميقا راح يندمل مع الأيام ، وراحت تسدل عليه ستر النسيان .

ورغم الفيافى والقفار فقد عاوده طيفها فى المنام " هاج له نكاسا من الحت بعد اندمال " وهو يصف راحلته التى يسلى بها همومه ، تلك الراحله السريعة ، ويشبهها مرة بالثور ، ومرة بالحمار . وقج شبهها بحمار يضرب إلى الصفرة والسواد . محتمع الخلق هذا الحمار يصوت على أتن له . أتن قد حملن ، وطال حملهن . ضخام البطوان من الحمل . شغلها الحمل ومتاعبه ، عم هذام الحمار ونزاونه لا يملن إليه ، قد قلينه وانشغلن بما فى بطونهن . ومع ذلك ، فهو ملازم لهن . وهن له حاذرات قوالى .

لقد آلمه هذا الإعراض ، وراح يتفنن فى تعذيب أتنه ، لقد لواها عن الماء ، منع عنها الماء ، فظلت التحمو صوافن خوص العيون غائرتها . وظل هو يسوّف أبوالها ، يشم أبوالها ، ويعلو المرتفعات المشرفات . ويطوف على تلك الأتن ويعلو نهيقه عليها .

أصابه الفزع ، وراح يطوف بأتنه يقصد عين الرصافة تنزبعض الماء. يد فعهن نشاطه فيرتعض إلى أعالى الصحراء ، وينطلقن مسرعات وعند ما يقلل من عدوه ، يصنعن الشئ نفسر .

وهكذا الحال ما بين نشاط وفتور ، وعدو وإقلال إلى أن وصل بأتنه إلى ماء كثير قد علاه الطحلب ، وألقت الأتن بنفسها فيه ، ولأت جنوبها بالماء . وبعد ما فرغن من الشرب ، صدربهن ، وانخذ طريقا ، هذا الطريق لِحَظّه العاثر قد قطعه صائد يترصد . وهو صائد ذو خبرة وذو حاجه . قد ترك أطفالا ونسوة مراضيع قد أضناهم الجوع .

خفت يد الصائد عند ما حانت الفرصة ، وراحت النبال والسهام بترق ، وتوالى البحث فى جعبته ، وقد أصاب من الأتن حاجته ، وسقاها السم الزعاف ، والموت العاجل . إلا هذا الحمار ، فقد أخطأه ولم يصبه . وفرّ هذا الحمار الوحشى مع قليل من أتنه ، وسرعان ما كبت الأتن فى مطحرات الإلال فى الحرب والسهام .

وعندها وجد الحمار نفسه وحيد منفردا ، فرَّ بنفسه ، سرع فى العدو بسرعة البرق يثب بين المرتفعات ، لا يترك مكانا مرتفعا ولا حرفا ، ولا مكانا مشرفا إلا وثبه طالبا للنجاه .

لقد سهر ليله فى خوف وفزع ، وباتت أتنه تفلى بهن القدور.

لقد قطع الفيافى والقفار . وخاض فى ظلمات ليل حالك وأصحى وقد لفّه الحزن ، وشفه الوجد ، وإن كان يغلف ذلك فرحته بالنجاة . وقدصار بعيدا عن المنال .

فإن يلق خيلا بعد ذلك ، يأنس بها وتقوى شوكته .

• **رؤية فنية**:

صلة القصة بمقدمة القصيدة :

يتحدث الشاعر فى مقدمه قصيدته عن ملك العلاقة الحميمة التى تربطه بهذه الإنسانة " جعده " ورغم ما فعله الأهل بها وبه ، ورغم ما فرق بينهما فقد راع خيالها يقطع الصحراء ، ويزور الشاعر ، وينكأ الجراح التى كانت قد اندملت . فالشاعر رغم جراحه وآلامه ، فما زال يأمل أن يعيش مع المحبوبة فى سعادة ، وهو قانع بطيف خيالها على الأيام تجود بوصلها . فيلملم جراحه ويعيش فى سعادة :

إلى الله أشكو الذى قد أرى   من النائيات بعافف وعال

والقصة ما هى الا صورة لهذا الشاعر بقضها وقضيفها هذا الحمار الوصى الأمل فى الوصل من أتنه ، والأثن قد أنهكها الحمل

وشغلها عن صبوات ونزوات هذا الحمار ، وتثوربه شهوته فيروح يصوت على الأتن من ناحية ويعلو ويسفل ، ومع ذلك وهن مشغولات منه بما فى بطونهن من أجمال .

وعندما راح تهن لورود الماء ، كان القدر ، القدر المدير الذى أخذ أتنه منه ، أخذها لحاجته وحاجة أولاده اليها . وضاعت منه أتنه – كما ضاعت محبوبة الشاعر مع رغبات أهلها – ونجا بنفسه ويقرر الشاعر حقيقة فى نهاية القصة :

فإن يلق خيلا فمستضلع   تزحزح عن مشرعات العوالى

هذه الحقيقة تصدق على الحمار الوحشى ، وتصدق على الشاعر . إن عادت إليه محبوبته ، فقد أنس بها وقوى . من هنا نرى الترابط القوى بين القصة وبين المقدمه موضوع القصيدة .

• **الشخصيات** :

– الشخصية الأولى :

هى شخصية الحمار الوحشى وقد جمع الشاعى فى البيت الأول والثانى شخصية هذا الحمار وأبعادها :

أوأصحم ، حام جراميزه   حزابية حيدى بالدحال

يرن على مغزيــات عقـاق   ويقرو بها قفرات الصلال

فهو أصحم . أسود فى صفرة ، أعبر ، مجتمــع البـدن يعيـش فى هو ة ضيقة من الأرض ، وهو يصوت ، على تلـك الأتـن التـى تعيش معه ، ولكن حالبها لا تسمح بالتجاوب معه فقد حان وقت هذا الحمل ولم يلدن وتضحمت بطونهن . والبعد الثانى لهذه الشـخصية انه الحاكم بامره (له أمره) يأمر فيطاع ، أو أن له شـأنه ونزواتـه ، والأتن لا تستجيب لـه . مـع ملازمنـه لهـن (مـيربهن لـه أمـره ، وهن له حازرات قوالى) .

وترتب على حرمات الأتن له مـن نزواتـه ، ا، راح يشـم أبـو الها متن ناحية ويصعد القلال المشـرفة ومـا غلـظ مـن الأرض مـن ماحية أخرى . فقد راح يتخبط ولا يضبط نفسه .

– والشخصية الثانية :

هـى شـخصية الأتـن . شـخصية الإنـاث وقـد شـغلن بمــا فــى بطونهن . فالبطون كبيرة منتفخة (العقاق) وتأخرت عملية الوضع عـن المعتـاد . وهـن بيـن آلام الحمـل ، وبيـن هـذا الذكـر المشـغول بنزواته ، ولم يرحمهن فقد لواها عن الماء ، ومنها عن المــاء حتــى أبت أنبق الأكال لرغبتها فى الماء . ومع ذلك فهن حـاذرات قوالــى معرضات عنه . واستدوهج الشمس مع العطش مع رفض الطعام ،

مع الحمل . لقد أصبحت الأتن غائرة العيون مفرقة بين رجليها واقفة فى ضعف وألم .

– الشخصية الثالثة :

شخصية الصائد فى القصة ، وقد أراد الشاعر أن يعطى لها بعدا فوصفها ووصف حالها والصائد " مقيت " مقتدر على هذه المهنه ، ومعيد لأكل القنيصى ، متعود على ذلك ، ذو فاقة ، فقيرا ،هذا الصيد ، وأولاده مقودا أكل اللحم .

ونسوة أصابهن الهزال عوج مراضيع مثـــل السعالى

• الأحداث :-

الأحداث هنا فى هذه القصة تنبثق من الشخصية الاولى وهى شخصية البطل فهو ثائر هائج ، يرغب فى تحقيق شهواته ونزواته ، والظروف غير مهيأه له . ولذلك فقد لواها عن الماء من حية ، وقصد بها عين ماء من ناحية آخرى ، وأوررها مستحير الحمام من ناحية ثالثة ثم وهذا هو الحدث الأهم فى القصة " أسلكها " ، سلك بها طريقا لسوء خطه ، ترصدله الصائد فى هذا الطريق ، واستطاع أن يصطاد الأتن جمعن " فعما قليل سقاها معان بمزعف ذيفان قشب نمال " سقاهن جميعا السم الزعف ، والموت العاجل ،

سوى العلج ، أخطاه عاجلا يتجراء . نجاهذا الحمار من الموت ، وأطلق ساقيه للريح .

فالأحداث كما ترى ، لم تصدر الا من هذا الحمار الوحشى مع أتنه حتى ساقيه الأقدار إلى هذا الصائد لشهى حياة الأتن وليفرن الحمار بحياته . والأحداث قليلة ، وبطيئة .

• الصياغة :-

اتكأ الشاعر هنا فى هذه القصه على أسلوب السرد للأحداث يدن علـى مغزيات العقاق ، لواها عن الماء ، يؤم بها ، يجيش عليهن ، يحامى الحقيق ، فأوردها مستحير الجمام ، فالقت جحافها فى الجمام فأسلكها مرصدا حافظا .

وهكذا تسير القصة كلها على هذا النمط وقد اسيخدم الشاعر فى سرده للأحداث أسلوب التشبيه ، وذلك فى مثل قوله " فظلت صوافن خوص العيون كبت النوى بالتركا والهجال " و " هوكالمستجال " وقوله " يغض وغضفن من ريق كشؤبوب ذى بردواتسحال " وقوله " حمحم فى كوثر كالجلال " وقوله :

فلما وردن ابتدأن الشرو ع بسط الأكف لأخذ العوالى

وقوله :

فلمـا وردن صجرن النقيل   كـــأوب مرامى غوتى مغالى

وقوله فى رصف نكوة الصائد " مثل السعالى "

وتشبيهه للسهام وسرعتها بقوله :

كخشـــرم جبرله أزمـــــل   أو الحمر حش بصلب جزال

وتشبيهه سرعة الحمار الوحشى وهو يفر بقوله :

بشأوله كضريـــم الحريـق   أوشــقه البرق فى عرض خال

وتشبيهه لسواد الليل بقوله :

وليـــــــــل كـأن أفانينـه   صراصيـــرحللن دهم المظالى

وهكذا نرى الأفكاء على التشبيه بكثرة . وقد استخدم المقابلة بين المواقف المخنلفة مما ساعد على إبراز الصورة وتوضيحها .

وذلك فى مثل قوله :

فأحيـــــا وجيفا وآلافه   تجيش بهن القدور الغوالى

فالحمـار قـدلا ذ بـالفرار ، وأحياليلـه ليتجـف بـه فـى السـبر ، وآلافـه وأتتـه قد صيدن ، وباليتهـا قدصسيدت وفقـط ، ولكنهـا قـد صـارت تجيش بهن ، وتغلـى بهـن القـدور طعامـا لأنبـاء ونسـوة

الصائد.

وذلك البدن الذى كان مصدر قوة فى بداية القصيدة :

أو أصحم حـــام جراميزه حزابيـة خترى بالدحـــال

أرأيت إلى " جراميزه " هنا هى تشكل القوه والفتوة . يستخدم الشاعر تلك اللفظة ، والحمار يهرت ويفر ،وقد أصبحت بلك الجراميز خطراعليه ولذلك يقول :

فلمـــــا رآهــن بالجكهتين يكيون فى مطحرات الإلال

رمى بالحراميز عرض الوجين وارمـد فى الجرى بعد انفتال

وفى المرة الأولى كانت " جراميزه " مضافة إليه ومتسوبة إليه وفى المرة الثانية " رمـى بالجراميز " بدون إضافة لأنها فى حالة الحرب أصبحت حملاً ثقيلاص عليه يتبرأ منه .

وقد اعتمد الكناية أيضاً فى بعض المواقف من مثل قوله :

" وظل يسوف أبوالها " وهو كناية عن حالة الشبق التى مير بها .

وقوله :

فأسلكها مرصداً حافظات به ابن الدجى لاصقاً كالطحال

" وانب الدجى " كناية عن الصائد .

وقوله :

له نسوة عاطلات الصدور عوج مراضيع مثل السعالى

" ونسوه عاطلات الصدور " كناية عن خلوها من الحلى ، وهو كناية عن الفقر .


الحس القصصى
فى شعر
قيس بن عيزارة

قصص قيس بن عيزارة

وعنـــوانهـا

﴿ إرادة اللـــــه ﴾

قال قيس بن العيزارة [١] يرثـي أخـاه الحـارث بـن خويلد فـي قصيدة وردت بالديوان الخزء الثالث ص ٧٢ وقد بدأها بمقدمة قـال فيها :-

ياحـــــادِ إني يابن أم عميد   كمد كأني في الفـــؤاد هيد [٢]

والله يشفي ذات نفسي حاجم   ابدا ولا همـــا اخال لدود [٣]

بأبيك صاحبك الذى لم تلقه   بعـــد المواســم واللقاء بعيد

إلى ان يبدأ قصتة بالمطلع المعهود عند الهزلين بقوله :

١- هو قيس بـن خويلد مـن شعراء هذيـل . والعيزارة امـة ، والحـارث بـن خويلد اخوه لابيه وامه اصابه حبن بمكة فمات ، والحبن إذا استسقى البطن . (الديوان جـ٣ص٧٢ والحبن داء يأخذ فى البطن فيعظم منه السان العرب مادة حبن) .

٢- عميد : موجع ، اللهيد : الذى عصره الحمل حتى انفسخ لحمة .

٣- لدود : الدواء فى احدى شقى الغم .

والله لا يبقى على حدثانة بقـــر بناصفة الجواء ركود [١]
ظلت ببلقعة وخبت سملق فيـه يكـون مبيتها وترود [٢]
يومـا كان مشاوذا ربعية أو ريط كتان لهن جلود [٣]
كتب البياض ولا يورك لونها فعيونها حتى الحواجب سود
حتى اشب لها واغيبر نايل يغرى ضوار خلفها ويصيد[٤]
في كل معترك تغادر خلفها زرقـاء دامية اليدين تميد [٥]
يومـا اراد لها المليك نفادها ونفـادها بعد السلام يريد [٦]

• رؤية لغوية :-

بدأت هذه القصة بمقدومة تزيد فى عدد ابياتها عن هذه القصة بثلاثة ابيات ، تحدث فيها الشاعر عن اخية ، وعن جلدة ودفاعة ،

١- الناصفة : مطمأن ينبت التمام ، يتصل بالوادى . الجواء : البطن من الارض والواسع من الودية

٢- الخبت والسملق : ماستوى من الارض ، ترود : تجئ وتذهب .

٣- مشاوذ : عمائم . مفردها : مشوذ ، ربعية : نسبة إلى ربيعة .

٤- اشب لها: اتيح لها . اغيبر : صائد . نابل : ذو نبل . ضوارى: كلاب .

٥- زرقاء : كلبة . تميد : تميل .

٦- نفادها : موتها .

وكرمه وحمايته لمن لجأ إليه ، وذكر حالة بعد فقد اخية وانه كمد حزين لا علاج له ولا مخرج من حزنه على أخيه .

وبعد ذلك ساق قصته . وهى قصة بسيطة وادعة ، أفكارها بسيطة ، وأحداثها قليلة . وهى تحكى قصة بقرا ، يعيش فى أرض مطمئنة ، واسعة وادعة خصبة . عاشت آمنة مطمئنة ترود وتبيث . لونها أبيض ، كأن بياض جلدهن سيور الكتان .

وسط هذا الجو الملائكى الجميل ، وتلك الأرض الوادعة المطمئنة ، ظهر لها صائد أغبر بنبله ، وكلابه الضاررية ، ولم يكن هذا أول صائد يظهر لها فقد مرت بتجارب عديدة ، ومعارك مريرة خاضتها مع الكلاب قبل ذلك وخرجت منها منصرة :-

فى كل معترك تغادر خلقها　　زرقاء دامية اليدين تميد

ولكن إرادة الله ، قد أرادت فى ذلك اليوم أن تخر ساقطة ، فسقطت . الصائد لم يفعل شيئا ، وليس هناك دماء ، ولا سهام ولا نبال . سكت عن هذاكله ، وعبر عن النهاية بقوله :-

يوما أراد لها المليك نفادها　　ونفادها بعد السلام يريد

وهكذا اشتهى القصة التى ساقها فى رثاء أخيه .

علاقة القصة بموضوع القصيدة :-

الشاعر يبكى أخاه ، وأخاه قد مات ببطنه ، لم يمت فى مَعْركة ، ولم يقتله الأعداء غيله . وإنما أصيب بداء البطن فمات ، هى إرادة الله إذن . وقد جاءت القصة على هذا النمط ، وبعزة الصورة . فقطيع البقر يعيش فى هدوء واطمئنان ، لم تنقص مياهه ، ولم يتحرك من مكانه . وإنما أتيح له يوما صائد بنبله وكلابه ، هذا الصائد وهو الموت " أغيبر " وقد شاءت إرادة الله أن يموت القطيع فى هذا اليوم فمات ، دون مقاومة .

والقصة كما نرى تحكى صورة ماحدث لأخيه ، وتصور طريقة موته كما أراد له ربه .

- **الشخصيات** :-

صورة الشاعر صورة البقر هنا بصورة وادعة ، اختار لها لونالا ملائكيا وهو اللون الأبيض ، ونص على ذلك فقال " كتب البياض لها ، وبورك لونهها " وعيونها سوداء . لو نظرت إليها لرأيت عمائم بيضاء ، أو سيور ككتان . وهى تدافع عن نفسها بكل قوة ، فقد خاضت معارك عديدة ، فخلفت وراءها الكلاب الضارية مضرجة بالدماء . وهذه هى شخصية البقر . وأما الشخصية الثانية

فى القصة ، وهى شخصية الصائد . فهى شخصية ترمز إلى هذ المرض الذى أصيب به الحارث بن خويلد ولك فالصائد " أغبير ومعه أدوات فدكه . معه النبال ، ومعه الكلاب الضارية . هذه هى شخصية الصائد الذى يرمز به للمرض .

• الأحداث :-

ليس هناك فى القصة سوى حدث واحد ، فالمياة وادعة مطمئنة بهذا القطيع . إلى أن أتيح له صائد أبادهم . وحتى ذلك الحدث لم يكن ببدء شخصية من الشخصيات ، ولا حتى من الصائد ولكن عنصرا خارجا عن الشخصيات وهو " إرادة الله " هى التى ضعت هذا الحدث وبه كانت نهاية القصة .

• الصياغة :-

اعتمد الشاعر فى صياغته للقصة على سرد الحوادث . " بقر بناصفة الجواء ركود " " ظلت ببلعقة " وهكذا يمشى الشاعر سارد للأحداث معتمد على التشبيه تارة وذلك فى مثل قوله " يوما كأن مشاوذا ربعية " " أو ريط كتان لهن جلود " والكناية تارة أخرى وذلك فى قوله " زرقاء دامية اليدين " كناية عن الموت .

• **النهاية** :-

النهاية هنا في هذه القصة هي الموت ، كغيرها من القصص . ولكن الموت هنا أتى بطريقة مختلفة . فهو موت دون مقاومة من البقر ، رغم أنهن يملكن القدرة على ذلك ، يملكن القدرة عن الدفاع عن أنفسهن . وجاء الموت دون جهد من الصائد ، فالصائد معه نباله ومعه كلابه ، ولكن سرد الأحداث توقف عند وصف الصائد ولا شئ بعد ذلك ، سوى إرادة الله عز وجل :-

يوماً أراد لها المليك نفادها   ونفادها بعد السلام يريد

ومن هنا نؤكد على نهاية القصة واختلافها عندالهذليين ، فليست القصة عن حيوان يصاد ويموت . ولكن النهاية مختلفة باختلاف الموضوع .


الحس القصصى
فى شعـر
أبى كبير الهذلى

قصص أبى كبير الهذلى

قال الشاعر أبى كبير الهذلى (١) قصيدة فى الشيب والفراق ، خاطب فى مقدمتها ابنته زهيرة ، وابنه خلاوة ، وبدأها بمقدمة فقال :-

---

١- أبو كبير الهذلى هو : عامل بن الحليس ، وهو جاهلى ، جاءت ترجمته فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٧٤ ، والخزانه ٣ : ٤٦٦ طبعة بولاق ، الاصابة ٧ : ١٦٢ ، والديوان ج ٢ ، ص ١١١ ، وهو احد بنى سعد بن هذيل ، ثم أحد بنى جريب .

والأبيات نقلاً عن ديوان الهذليين ، ج ٢ ، ص ١١١ ، وقد أشار ابن قتيبة فى الشعر والشعراء عند ترجمته لعامر بن الحليس أن له أربع قصائد أولها كلها شئ واحد ولا نعرف أحداً من الشعراء فعل ذلك :

إحداهن : أزهير هل عن شيبة من مَعْدِلِ أم لا سبيل إلى الشباب الأول

والثانية : أزهير هل عن شيبة من مقَصرِ أم لا سبيل إلى الشباب المدبر

والثالثة : أزهير هل عن شيبة من مَصرْفِ أم لا سبيل إلى الشباب متكلف

والرابعة: أزهير هل عن شيبة من معكَمِ أم لا سبيل إلى الشباب متَكرم

انتهى كلام ابن قتيبة .

والقصيدة الأخيرة هى موضوع دراستنا ، وقد وردت القصائد السابقة فى ديوان الهذليين .

أزهير هل عـن شيبة مـن معكـم   أم لا خلــود لبــازل متكــرم
يبكــى خــلاوة أن يفـارق أمــه   ولسـوف يلقاهـا لــدى المتهــوم
أخلاو إن الدهـر مهلك من ترى   مــــن ذى بنين وأمهم ومن ابنم

ثـم بـدأ فـى حكايـة قصتـه ، بـد أن حـدث ابنتـه عـن الشـيب ، وحـدث ابنـه عـن الفـراق فقـال باديـاً بمـا كـان يبـدأ بـه الهذليـون قصصهم:-

والدهر لا يبقى على حدثانـــه   قُبٌّ يرِدن بـذى شجون مُبْرِم[(١)]
يرتدن ساهرة كأن جميمهـــا   وعميمها أسداف ليل مظلم [(٢)]
فى مرتع القمر الأوابد أسقيت   ديم العماء وكل غيث مثجم [(٣)]

١- قبّ : الأقب ، الضـامر ، وجمعـه قُـب بضـم القـاف . ذو شـجون اك ذو شعاب تكون فى الحرّة ينبت المرعى مكانها . البوم : ثم الطلح واحدته برمه . والمبرم : المجتنى للـبرم . وحفـى بعضهـم بـى مجتنـى بـرم الأرال . (لسـان العرب مادة برم) .

٢- الساهرة : الأرض . الجميم : النبت لـم يتم . والعميـم : النبـت تـم وعـم . سوف الليل ظلمته ، وجمها أسداف .

٣- القمر : حمر بيض البطون . الديم : جمع ديمـة ، وهـو المطـر ليـس فيـه رعد ولا برق ، وهو المطر الدائم فى سـكون . والعمـاء : السـحاب الرقيـق . مثجم : مقيم .

واهى العروض إذا استطار بروقه ذات العشـاء بهيدب متهـزم (١)
وكأن أصوات الخمـوش بجوه أصوات ركـب فى ملأ مترنم (٢)
عجل الرياح لهم فتحمل عيرهم مصطافة فضـلات مافى القمقم (٣)
فرأين قلـة فارس يعدو به متفلـق السني نهد المخرم (٤)
ذو غيث بشـر يبـذ قـذاله إذ كان شَغْشَغَةٌ سِوادَ المُلْجِمِ (٥)
وكأن أوشال الجَدِيَّة وسطهـا سرَفُ الدِّلاء مِن القليب الخَضرمَ (٦)
متبهرات بالسجال ملاؤهـا يخرجن من لجف لها متلقـم (٧)

١- هيدب : الهيدب الذى يتدلى من السحاب . متهزم : متشقق بالماء .

٢- الخموش : البعوض .

٣- القمقم : الدّن .

٤- قلة فارس : رأس فارس . نهد المخرم : عظيم البطن .

٥- فرس ذو غيث : إذا جاء عدو بعد عدوا (لسان العرب مادة غيث) . بئر كثير القذال : جماع مؤخر الرأس . الشغشغة : تحريك اللجام فى فم الدالة . وسواء الملجم مساورته إياه .

٦- الوشل بالتحريك : الماء القليل يتحرك من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً (لسان العرب مادة وشل) سرف الماء : ماذهب منه فى غير سقى ولا نفع . يقال : أروت البئر النخيل وذهب بقية الماء سرفا (لسان العرب مادة سرف) الخضرم : من الآبار الكثير الماء .

٧- متبهرات : ممتلئات . السجل : الدلو الضخمة المملوءة ماءً والجمـع =

فأهتيجن من فزع وطار جحاشها ... مــن بين قارمهاً ومالم يقـــرم [(١)]

وهلاً وقد شرع الأسنة نحوهـــا ... مـن بين محتقّ بها ومُشـــــرّم [(٢)]

• **رؤية لغوية** :

الشاعر يتحدث عن الشيب والعراق ، وبعد عدة أبيات بدأ قصته كما بدأها غيره من شعراء هذيل " والدهر لايبقى على حدثانه " ويبدأ فى سرد قصته عن حمر وحشية خماص البطون ، وردن أرضاً بها ثمر الطلح ، وردن أرضا من كثرة نبتها كأنه أسداف ليل مظلم .

هى إذن أرض كثيرة النبات ، وهى أيضاً كثيرة الماء ، كثيرة البعوض بطنينه الذى يشبه تطريب ركب يغنى فى الصحراء .

= سجال . ولا يقال لها فارغة سجل ، بل يقال لها دلو . اللجف : الناحية من الحوض أو البئر ياكله الماء فيصير كالكهف . والجمع ألجاف . وقد استدل صاحب اللسان بهذا البيت (لسان العرب مادة لجف) تلقم البئر : يعنى صوت الماء من أسفلها .

١- القارم : الذى قد فطم فهو يقرم من يقول الأرض .

٢- الوهل : بالتحريك الفزع . المحتق : الذى قد أصيب فأحتق الرمية . والمحتق : النافذ إلى الجوف . المشرم : الذى شق بالعرض . والتشريم : أن ينفلت الصيد جريحاً .

وجاءت ريح شديدة ، وجاء معها فارس تسرع به فرس قوية تجرى جريا شديداً .

فزعت الحمر الوحشية ، وسرعان ماحصرتها الأسنة ، مابين طعنة نافذة في الجوف ، وأخرى قد انفلتت جريحة .

• **رؤية فنية** :

لقد كرر الشاعر هذا المطلع في أربع قصائد .

أزهير هل عن شيبة من معدل ، من مقصر ، من مصرف ، من معكم . متحدث عن الشيب ، وعن العمر ، والنهاية ، وقد شغلته هذه القضية في قصائده . وهو في القصيدة التي معنا يسوق قصة لها ارتباط وثيق بالبداية ، وبموضوع القصيدة .

فهو يتحدث عن حمر وحشية ضامرة ، وردت أرضاً بها ثمر الطلح ، كثير النبات وكثير الماء ، وكثير البعوض ، ووسط هذا الجو جاءت ريح شديدة ، وتغيرت الحياة مع قدوم هذه الرياح ، وصحبها قدوم فارس تسرع به فرس قوية . وعندما حاصرتها الأسنة مابين طعنة نافذة في الجوف وأخرى جريحة . الجريحة هي الشيب ، والنافذة في الجوف هي الهرم والموت .

والعلاقة واضحة بين القصة وموضوع القصيدة .

ساقطة

من أصل

المصدر

ساقطة
من أصل
المصدر

ساقطة

من أصل

المصدر

﴿ الخاتمة ﴾

بعد هذه الدراسة للقصص عند شعراء هذيل ، وتطبيق العناصر القصصية ودراسة تلك القصائد فنيا ، تتجلى أمامنا عدة حقائق نوجزها فيما يلى : -

أولاً : القصة فى شعر الهذليين ليست للتسلية ، وإنما هى مقصودة لذاتها يعمد إليها الشاعر ، متخذا منها قالباً يفرغ فيه موضوعه ، وهى مرتبطة تماما بموضوع القصيدة وليست لوحة منفصلة .

ثانياً : القصة لا تأتى فى الرثاء فقط ، ولكنها - كما رأينا من خلال الدارسة تأتى فى الرثاء ، وفى الغزل وفى الهجر وفى الغربة وغير ذلك وكل قصة تختلف عن غيرها حتى وإن توافقت النهاية بالموت مثلا ، فإن الأحداث وطريقة الموت تأتى مختلفة طبقا لاختلاف الطريقة التى مات بها المرثى كما أوضحنا .

ثالثاً : تشكل البيئة عنصراً مهما فى القصة عند الهذليين فالزمان والمكان لم يذكرا عبثا فى القصيدة (القصة) عند الشاعر الهذلى . إن الشاعر لم يتصادف وجوده بين الجبال والوهاد

فوصفها لمجرد مروره بها . هذه مقولة تحتاج إلى قدر من البلاهة لكى نصدّقها ، وحتى الزمان الذى ذكر فى القصيدة لم يذكر عبثا ، بل إن الأماكن التى ذكرها الشاعر ، والتى لم تعد تثير عندنا شيئا سوى أنها مجرد بلاد أو أماكن ، والتى عنونت لها بمعالم ضائعة ، لم يذكرها الشاعر عبثاً أو لإقامة الوزن . وإنما هى بيئة القصة التى قصد الشعر إليها ليرسم جو القصة . ولذلك اختلفت البيئة فى القصيدة الواحدة تبعا لتغير الأحداث ، وبما يخدم القصة .

رابعاً : استطاع الشاعرفى هذه الفترة المبكرة أن يعطى الشخصية أبعادها بما فى ذلك البعد النفسى والجسمى ، وإن جاءت بعض الشخصيات باهتة وغير محددة .

خامساً : استخدم الشاعر الهذلى ما يعرف بالمونولوج الداخلى فى وصف بعض الأحداث التى وقعت فى الماضى كما حدث للحمار الوحشى عند أبى ذؤيب وتذَكّره الرحلات السابقة وما حدث فيها .

سادساً : رفض البحث المقولة التى تقول إن الشاعر عندما صدر القصة بقولة (والدهر لا يبقى على حدثانه) قد أعطى نهاية القصيدة فى البداية واستطاع البحث أن يثبت أن (الدهر لايبقى على حدثانه) ماهى إلا " لازمة " صاحبت القصة عند الهذليين . بدليل اتفاق القصص فى هذه اللازمة واختلاف النهاية فى كل قصة.

سابعاً : فهم الجو العام للقصة يساعدنا فى تحديد الألفاظ المشتركة تلك التى فسرت على غير وجهها فى بعض الدواوين .

ثامناً : عرف الشعراء الهذليون القصة الاجتماعية ، وعالجوا من خلالها بعض القضايا ، كقضايا اضطهاد المرأة التى لاتنجب ، وقضية الاغتراب وترك الديار والأهل وما شابه ذلك .

تاسعاً : فى قصص الهذليين رسم للشخصيات ببعدها الجسمى وبعد ها النفسى ، وإن جاءت بعض الشخصيات غائمة وغير واضحة .

عاشراً : نهاية القصة عند الهذلينن مختلفة فى كل قصة عن غيرها من القصص .

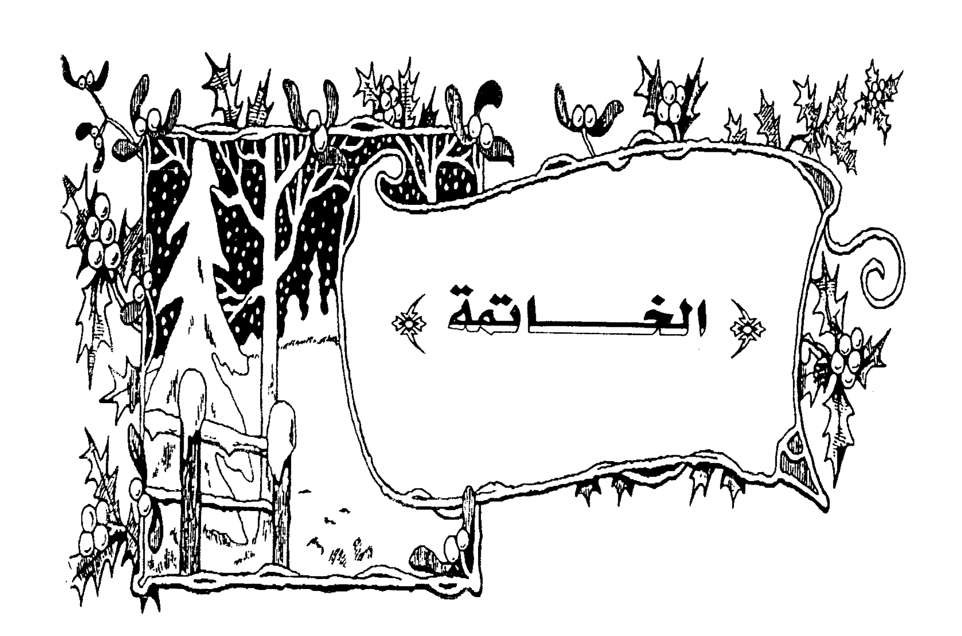
وبعد فهذه خطوة فى قراءة تراث الأجداد ، فى محاولة لتبسيط هذا الترث والتعرف عليه .

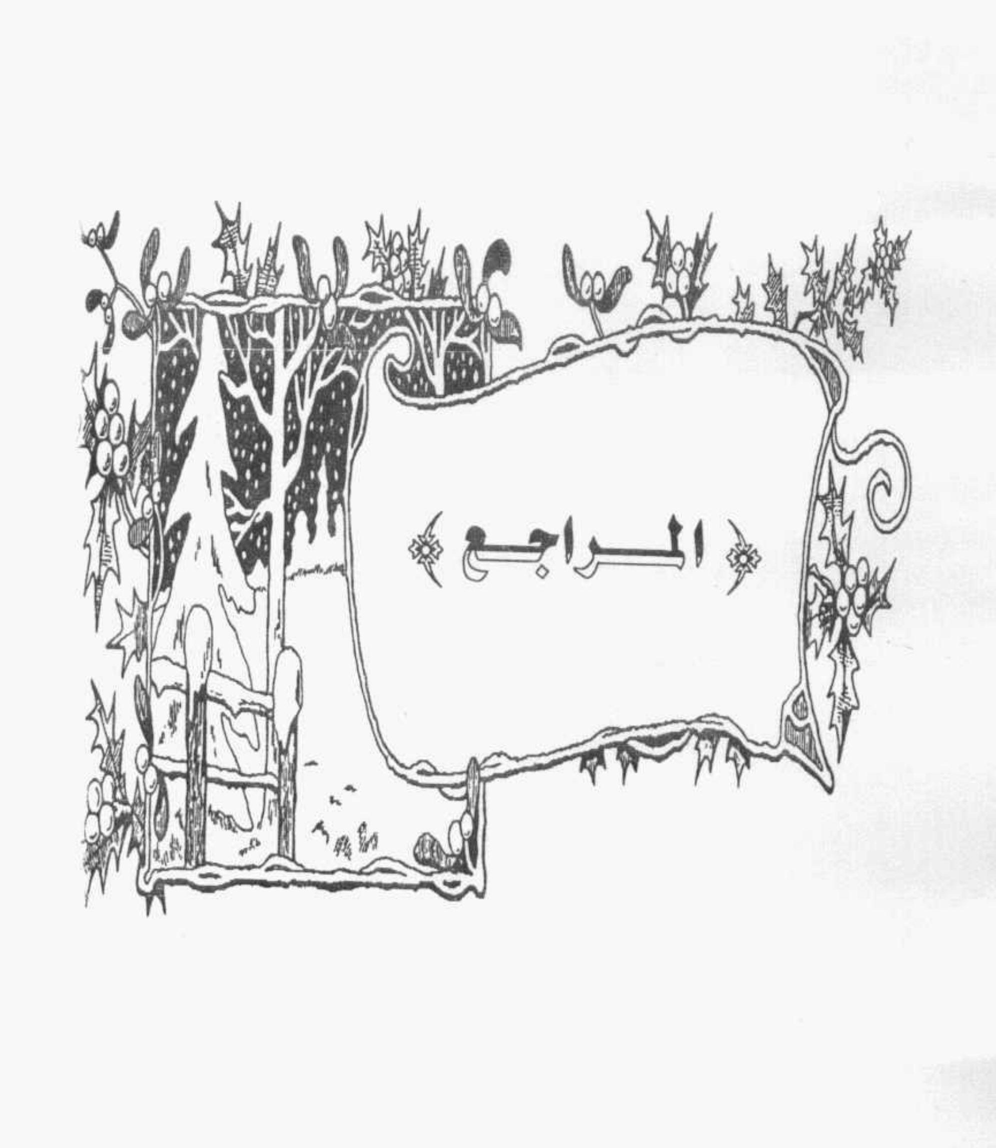
آمل أن تتلوها خطوات منى ومن غيرى بإذن الله .

وعلى الله قصد السبيل

المنصورة فى ١٥من شعبان ١٤١٩ هـ / ٤ من ديسمبر ١٩٩٨ م

دكتور / **عبد الناصر محمد السعيد**


الخاتمة

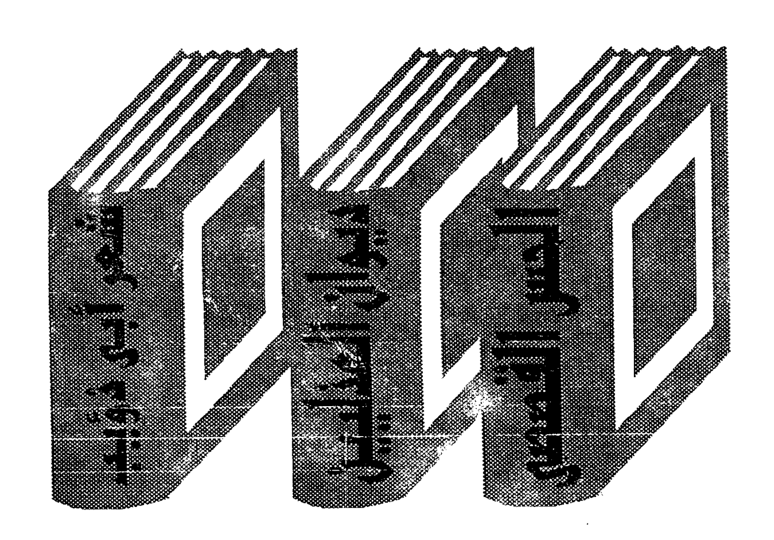

المراجع

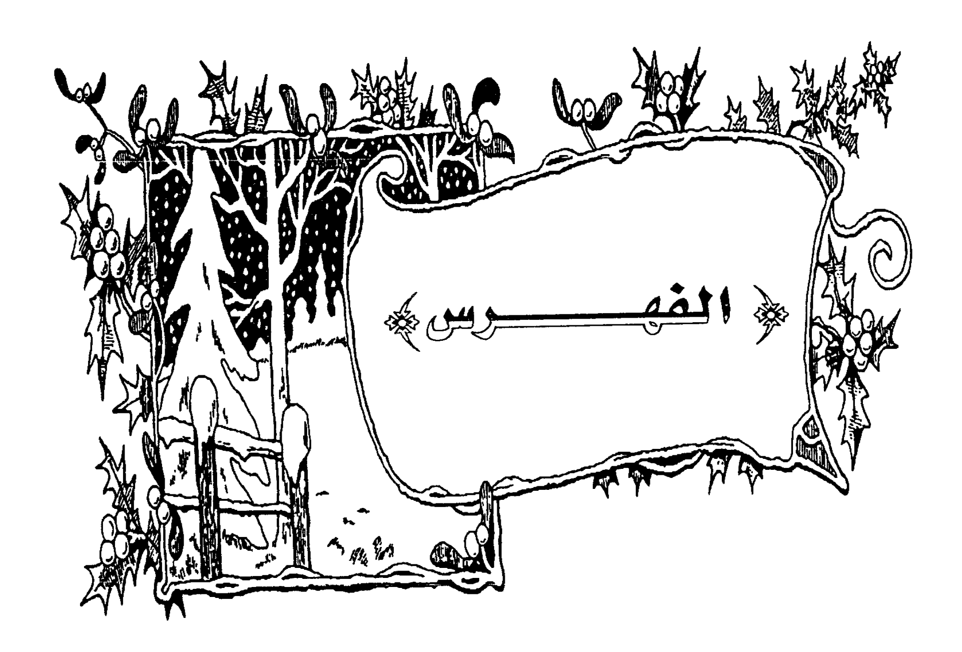
المراجـــع

١	أصول الأنواع الأدبية	د/ محمد العزب	
٢	الأغـــــانى	الأصفهانى	
٣	آراء حول قديم الشعر وجديده		كتـــاب العربـــى الكتاب الثالث عشر (ا) كتوبر ١٩٨٦
٤	بطولة الشاعر الجاهلى	د/ مـــى يوســـف خليف	دار قبـاء للطباعـــة والنشر والتوزيع
٥	البيان والتبيين	الجاحظ	بيروت
٦	جمهرة أشعار العرب	أبو زيد القرشى	
٧	الحس القصصـى فـى شعر أبى ذؤيب الهذلى	د/ عبد الناصر محمد السعيد	دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع
٨	خزانة الأدب	البغدادى	
٩	ديوان الهذليين	تحقيـق أحمـد الزيـن محمود أبو الوفا	الــدار القوميــة للطباعـة والنشـر ١٩٦٥م
١٠	الرؤى المقنعة نحو منهج بنيــوى فــى الشــعر الجاهلى	كمال أبو ديب	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦

١١	الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى	د/ يوسف خليف	دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة
١٢	شعر الصعاليك منهجه وخصائصه	د/ عبد الحليم حفنى	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م
١٣	الشعر والشعراء	ابن قتيبة	
١٤	الصناعتين	أبو هلال العسكرى	
١٥	طبقات فحول الشعراء	محمد بن سلام الجمحى	
١٦	العناصر القصصية فى الشعر الجاهلى	د/ مى يوسف خليف	دار الثقافة للنشر والتوزيع
١٧	فى أصول الأدب	أحمد حسن الزيات	
١٨	القصة الشعرية فى العصر الحديث	د/ عزيزة مريدن	دار الفكر طبعة أولى ١٩٨٤م
١٩	القصة العربية فى العصر الجاهلى	د/ على عبد الحليم محمود	دار المعارف ط٢ ١٩٧٩م
٢٠	القصة من خلال تجاربى الذاتية	عبد الحميد جوده السحار	دار مصر للطباعة
٢١	القصة والرواية	د/ عزيزة مريدن	دار الفكر ١٩٨٠
٢٢	لسان العرب	ابن منظور	

٢٣	مجلة العربى	العدد ٢٥ ديسمبر ١٩٦٠م	
٢٤	مقدمة القصيدة العربية	حسين عطوان	
٢٥	الموشح	المرزبانى	
٢٦	هذيل فى جاهليتها وإسلامها	د/عبد الجواد الطيب	




الفهرس

الفهــــرست